بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد

# التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
**عدنان صالح عبد الله العمودي**
الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٣١٥

إشراف الأستاذ الدكتور
**السعيد محمود السعيد عثمان**
الأستاذ بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

**للتواصل**

https://www.facebook.com/profile.php?id=100002064633268

الله غالب

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



# التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
**عدنان صالح عبد الله العمودي**
الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٣١٥

إشراف الأستاذ الدكتور
**السعيد محمود السعيد عثمان**
الأستاذ بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني ١٤٣٠ هـ - ١٤٣١هـ

بسم اللہ الرحمن الرحیم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه يستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" أخرجه أبو داود (١٠/٧٢)

# إهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي وأمي

لعلي أبلغ برهما

وأن يصلهما أجر كل من انتفع به

اللّه غالب

# شكر وتقدير

بمناسبة إتمام هذا البحث، أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجامعة أم القرى، ولكلية التربية، ولقسم التربية الإسلامية والمقارنة، ورئيسه سعادة الدكتور نايف بن حامد بن همام الشريف، وجميع أعضاء القسم، وبالأخص أشكر أصحاب السعادة المحكمين لخطة الرسالة الأستاذ الدكتور عبد الله حريري والدكتور صالح العمرو؛ حيث أعطيت هذه الفرصة لإتمام دراسة الماجستير في تخصص التربية الإسلامية راجيا من العلي القدير أن يوفق جميع المسؤولين في هذه الجامعة إلى ما يحبه ويرضاه.

وأخص بالشكر والتقدير: أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث سعادة الأستاذ الدكتور السعيد محمود السعيد عثمان الذي استنرت بتوجيهاته وملاحظاته القيمة، والتي كان لها أكبر الأثر في ظهور البحث بهذه الصورة.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة كل من سعادة الدكتور عبد الناصر عطايا والدكتور نايف بن حامد بن همام الشريف على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة.

وختاما أشكر كل من ساعدني وقدم لي العون من أساتذتي الكرام وزملائي الطلاب، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

# ملخص الدراسة

**عنوان الدراسة:** التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
**اسم الباحث:** عدنان صالح عبد الله العمودي.
**الدرجة العلمية:** ماجستير **التخصص:** تربية إسلامية
**أهداف الدراسة:** هدفت الدراسة إلى التعرف التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري من خلال التعرف على مؤسسات التعليم وأساليبه ومناهجه.
**منهج الدراسة:** المنهج التاريخي، المنهج الوصفي.
**فصول الدراسة:** الفصل الأول الإطار العام للدراسة. الفصل الثاني: الحياة العامة في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ويشتمل على الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في الأندلس في القرن الخامس الهجري. الفصل الثالث كان عن العلماء المسلمين في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ويشتمل على مكانة وإنتاج العلماء في الأندلس، و الفصل الرابع عن مؤسسات التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ويشتمل على: المساجد، والقصور، والبيوت الخاصة، والكتاب. الفصل الخامس أساليب التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ويشتمل على: الإسماع والإقراء، والإملاء، والمناقشة والحوار، والمناظرة. الفصل السادس مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري، حيث اشتمل على: العلوم الدينية واللغوية والعقلية.

**أهم النتائج:**

١- زخرت الأندلس بنهضة علمية في القرن الخامس الهجري على الرغم من الأوضاع السياسية المضطربة في ذلك القرن.
٢- بينت الدراسة أن للعلماء المسلمين في الأندلس منهجًا تربويًا.
٣- تنوعت أساليب التعليم فشملت الإسماع، والإملاء، والإقراء، والمناقشة والحوار، والمناظرة، فكانوا يختارون من الطرق أفضلها وأحسنها، وأوضحها بياناً، وأشدها تأثيراً في نفوس المتعلمين، فاستخدموا لكل موقف الطريقة المناسبة له.
٤- نبغ علماء الأندلس في العلوم الدينية والعلوم اللغوية والعلوم العقلية، ولهم العديد من المؤلفات في هذه العلوم.

**أهم التوصيات:**

١- إجراء دراسات ميدانية تقويمية للأساليب المستخدمة في التعليم في واقعنا المعاصر ومقارنتها بأساليب التعليم في الأندلس.
٢- إقامة دورات تعليمية لأساليب التعليم التي تميز بها العلماء في الأندلس وبالأخص المناقشة والحوار والمناظرة؛ لتطوير أساليب التعليم في واقعنا التربوي المعاصر.
٣- الإفادة من المناهج التعليمية عند علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، وأصولهم التعليمية، فنبوغهم في العلوم التطبيقية كان بجانب العلوم الدينية.
٤- الاهتمام بالتعليم في مؤسسات المجتمع كالمسجد والأسرة، وغيرها من المؤسسات التربوية التي تتولى توجيه أفراد المجتمع وتثقيفهم.

# Abstract

**Title**: Education in Andalusia in the fifth century AH.
**Researcher Name:** Adnan Saleh Abdullah Al-Amoudi.
**Master** Degree . **Specialization :** Islamic education .
**Study objectives:** To identify the institutions of education in Andalusia in the fifth century AH. Also, to examine methods of education in Andalusia in the fifth century AH. Moreover, to identify the education curriculum in Andalusia in the fifth century AH.
**Study Methodology:** A historical descriptive approach.
**Study chapters:** The first chapter represents the framework of the study. The second chapter discusses the Public life in Andalusia in the fifth century AH, and it includes the political, the social, and the economic developments in Andalusia in the fifth century AH. The third chapter is about the scholars of Muslims in Andalusia in the fifth century AH, and it includes the status and the production of scientists in Andalusia. The fourth chapter talks about the educational institutions in Spain in the fifth century AH, and it includes: the mosques, the palaces, the private homes, and the writers. The fifth chapter lays out the methods of education in Andalusia in the fifth century AH, and it includes: Aliqra (reading) and listening, dictation, discussion and dialogue, and debate. Finally, the sixth chapter includes the curriculum used in Andalusia in the fifth century AH, which includes: religious, linguistic and mental sciences.
**Results of the study:**
- There was a great scientific development in Andalusia in the fifth century AH, despite the turbulent political situation in that century.
- The study has shown that the Muslim scholars in Andalusia had educational methodologies valid for every age and place.
- The methods of teaching were various as they included listening, spelling, Aliqra (reading), discussion and dialogue, and debating. in addition, scholars used to select the best, the most legible and the most influential methods suitable for each learning situation.
- Andalusia scientists have excelled in religious, linguistic and mental sciences, and they have had many publications in these sciences.
**Recommendations of the study:**
- To conduct field and evaluative studies of the methods used in education in our contemporary age.
- To establish educational courses of methods of teaching similar to the ones used by the scientists in Spain such as discussion and dialogue and debating in order to develop methods of education in our contemporary educational age.
- To benefit from the educational curriculums of the scientists of Andalusia in the fifth century AH, as they excelled in applied as well religious sciences.
- To arise interests of developing education in different institutions of the society such as mosques, families, and other educational institutions which are meant to educate and cultivate the society.

# قائمة المحتويات

# الإطار العام للدراسة

ويشتمل على:

- المقدمة.
- موضوع الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- الدراسات السابقة.

# الفصل الأول

# الإطار العام للدراسة

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فلقد أصبح العلم اليوم من أهم الأمور التي تسعى لها معظم الشعوب، وتبذل لها الغالي والنفيس في سبيل الرقي بمستوى شعوبها، وهذا الرقي يحتاج إلى مستوى عال من البناء التربوي للأجيال في شتى المجالات التربوية والتعليمية.

وبالنظر لديننا الإسلامي نجد أن أول كلمة أنزلت على سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- هي " اقرأ " ، فاتحة سورة العلق. كما مدح الله تعالى الذين أوتوا العلم في عدة آيات من كتابه العزيز ومنها:

قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة آل عمران: آية ١٨).

وقوله تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا }( سورة الإسراء: آية ١٠٧).

كما قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } (سورة القصص: آية ٨٠).

وقال تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } (سورة سبأ: آية ٦).

وفي السنة النبوية وردت أحاديث كثيرة في أهمية العلم وفضيلة طلبه منها قوله- صلى الله عليه وسلم-: "من سلك طريقا يطلب فيه علما، سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه يستغفر للعالم من في

السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر" أخرجه أبو داود (٧٢/١٠).

وبدخول الناس في دين الله أفواجاً اتسعت رقعة الإسلام، وبدأ العلم يتسع والمعارف تزداد، وتتعدد اهتمامات العلماء وطلاب العلم، إلا أن علوم الكتاب والسنة والاهتمام بهما كانت جل اهتمامهم، والتي منها ينطلقون للعلوم الأخرى.

ومما لاشك فيه أن الأمة الإسلامية في الأندلس قد بلغت شأناً عظيماً في مجال الحضارة الإنسانية والرقي، وأنها ساهمت في نقل الحضارة الإسلامية الرائعة إلى أوروبا، وأنها ضربت بسهم وافر في مجالات المعرفة بصورة عامة. ويرجع الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في ذلك إلى نظامها التعليمي وإلى اهتمام الأندلسيين بطلب العلم، وتشجيع الحكام للعلماء والمعلمين والمتعلمين.

لقد بدأ الأندلسيون تعليم صغارهم في سن باكرة، حيث إن التأديب في الصغر يعطي فرصة النبوغ الباكر، كما أن الصغير أسلس قيادة وأحسن مواتاة.

أما النظام التعليمي في هذه المرحلة، فإنه وإن تشابه في معظم أنحاء العالم الإسلامي إلا أن الأندلسيين قد تميزوا بدقة نظامهم وحسنه،" و لقد وجه اهتمام الأندلسيين الأكبر في مجال الدراسات الدينية إلى حفظ القرآن الكريم وقراءاته، ولقد كان من العادة أن يعين الأمراء في المساجد بعض القراء لكي يقوموا بقراءة القرآن فيها، ومن يقرأ لهم القرآن في منازلهم، وخاصة في شهر رمضان. والموحدون قد أخذوا الناس بقراءة حزب من القرآن يومياً، بعد صلاة الصبح، كما أكدوا على العوام ومن في الديار بحفظ أم القرآن وما تيسر منه" (عيسى ، ١٩٨٢م ، ص٢٨٥).

وكما كانت عنايتهم بتعليم القرآن، فقد شددوا على ضرورة أن يكون التدريس باللغة العربية الفصحى، وينبغي أن ينشأ الطفل على تعلم العربية، ومقاطع الكلام، ويحفظ أشعار العرب وأمثالها. ولم يقتصر اهتمامهم على جانب اللغة، وما ينشأ عنها من آداب، بل تعداه إلى الجانب العلمي، وما يرتبط بالعلوم الأخرى من تقدم، جاعلين

الحساب النموذج لذلك. وما بين قيمة تعليم الحساب، وأهميته أن "الحساب فيه فائدة نظرية هي شحذ الذهن، وتمرين الفهم، وفائدة عملية ترجع إلى منفعته في القوانين الفقهية من قسمة التركات والمساحات، وما إليها من مسائل في الحياة العملية (عيسى ، ١٩٨٢م ، ص٢٣٩).

وفي المسجد يلتقي الطالب بشيوخه ومعلميه، وعليه في هذه الحالة أن يدقق في اختيار الشيخ الذي سيتقدم للدراسة على يديه، وعلى الآباء أن يساعدوه في ذلك، فيختارون له من يثقون في خلقه أولاً وفي علمه ثانياً، ولم يكن هناك منهج تعليمي محدد يسير عليه الطلاب والمعلمون، إنما كان هناك شيوخ ومعلمون في كل فن من فنون العلم، ومن ذلك المتخصصون في العلوم الدينية بتفرعاتها الكثيرة، وعلوم العربية بأقسامها الواسعة والكبيرة، بالإضافة إلى معلمي الحساب والرياضيات، أو البارعين في المجالات العلمية الأخرى.

**موضوع الدراسة:**

إن العلم هو أساس رقي الشعوب، وسر نهضتها لذا كان من الأمور التي اهتم بها الباحثون والمختصون في التربية والتعليم الاهتمام بالأساليب، والطرائق التعليمية، والتربوية، التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف التعليم بأقل جهد وأسرع وقت.

ومن حيث إن واقع التعليم اليوم خاصة في البلاد الإسلامية يحتاج إلى نظرة فاحصة في ماضيه العريق ليُنهل من تجارب علمائه وطرائقهم، ويحدد أهدافه مراعيا واقعه ومستقبله ومستفيدا من أساليب أسلافه ومعاصريه؛ ولذا جاءت هذه الدراسة للتعريف بالتعليم الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، والذي يعد من عصور تطورا لعلوم والفنون المختلفة.

وحتى يتسنى التعرف على هذا النظام التعليمي والاستفادة منه في تدريس وتعليم الطلاب بما يتناسب مع عصرنا الحالي، كان من الأهمية بمكان تناول هذا النظام ، فلن تُصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

لقد " بدأ الأندلسيون الحركة التعليمية في عصر الإمارة لكن العناية كانت منصرفة إلى العلوم الدينية. وفي القرنين الرابع والخامس زخرت الأندلس بنهضة علمية نافست فيها الشرق منافسة قوية في العلوم والآداب، وبدأت الشخصية الأندلسية تبرز وتتجلى وتتحدى الأعلام وتكاد تزحمهم في ميادين العلوم والآداب" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص٤٩).

وشهد هذا العصر ازدهار الأدب وتطور العلوم على رغم ما فيه من اضطرابات سياسية ونزاعات داخلية، فقد تنافس ملوك الطوائف بينهم لاجتذاب العلماء والأدباء إلى قصورهم، ونشأ كثير من العلماء والأدباء والشعراء في مناخ علمي وثقافي مخلفين وراءهم كتبا قيمة في مختلف المجالات.

يقول المقري في وصف اهتمام ملوك الطوائف بالعلوم " وتفرقوا في البلاد، وكان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفقوا سوق العلوم، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول: العلم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم" (المقري، ١٩٦٨ م ، ج٤، ص١٧٩).

**أسئلة الدراسة :**

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي وهو:

ما ملامح التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية وهي :

١- ما العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المؤثرة في التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري؟
٢- ما مكانة العلماء في الأندلس في القرن الخامس الهجري؟
٣- ما مؤسسات التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري؟
٤- ما أساليب التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري ؟
٥- ما مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري؟

**أهداف الدراسة :**

و قد هدفت الدراسة إلى إبراز ملامح التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري بصفة عامة من خلال:

١- عرض الحياة العامة في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
٢- التعرف على مكانة العلماء في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
٣- التعرف على مؤسسات التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
٤- توضيح أساليب التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
٥- عرض مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري.

**أهمية الدراسة :**

تظهر أهمية الدراسة في إبراز مساهمة المعلمين الأوائل في التربية والتعليم والذين كان لهم دور في بناء الحضارة الإسلامية ومن هذا المنطلق يمكن أن نوجز أهمية الدارسة في النقاط التالية:

١- استخراج الدروس والعبر التربوية من خلال المواقف التعليمية في حياة هؤلاء العلماء الذين بنوا حضارة الإسلام .
٢- إفادة كثير من المؤسسات التربوية الإسلامية في معظم الجوانب التربوية والتعليمية.
٣- استنباط أساليب علماء التربية والتعليم من خلال مواقفهم التعليمية في الأندلس في القرن الخامس الهجري.
٤- المحافظة على التراث التربوي وعرضه بالأسلوب المناسب للأجيال للاستفادة منه.

## منهج الدراسة :

إن البحث في مجال التربية الإسلامية له طابعه الخاص وكأي دراسة بحثية لابد لها من منهج بحثي تعتمد عليه، والمنهج كما يعرفه المختصون في الاصطلاح، هو عبارة عن " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، من أجل الكشف عن الحقيقة " (أبو سليمان، ١٤١٦ هـ، ص٦٠).

وبما أن الدراسة تبحث التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وكيفية استفادة المعلم منها؛ فإن الدراسة تحتاج استخدام منهجين للبحث هما:

١- المنهج التاريخي: وقد عرف بأنه الذي " يعتمد على جمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق والسجلات والآثار، لدراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي مضى عليها زمن، وتقديم وصف دقيق لها مما يساعد على تفسير المستقبل والحاضر، في ضوء البحث العلمي في البحث والتخطيط للمستقبل للوصول إلى الحقيقة الموضوعية "( محمود،١٤٢٠هـ، ص١٣٥).

وذلك من خلال النظر في كتب الأئمة الذين تحدثوا عن سير هؤلاء العلماء وطريقتهم في التعليم، ومواقفهم التعليمية، ودورهم في تنشيط الحركة العلمية في العصر الأندلسي والذي استمر لعدة قرون تقريباً.

٢- المنهج الوصفي: وقد عرف بأنه " دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفا دقيقا، والتعبير عنها تعبيرا كيفيا أو كميا "( عبيدات، ١٤٢٢ هـ، ص٢٤٧).

## حدود الدراسة :

للدراسة حدود موضوعية وحدود زمانية وحدود مكانية وهي كالتالي :

- موضوع الدراسة يبحث في التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري.

- وأما الحدود الزمانية فالدراسة تعنى بالقرن الخامس الهجري، وقد كان قرناً اتسعت فيه الدولة الإسلامية وتطورت فيها العلوم، وبرز فيه علماء جهابذة كانوا مشاعل هدى للأمة إلى يومنا هذا بمؤلفاتهم التي أفنوا فيها أعمارهم.
- وأما الحدود المكانية في بلاد الأندلس، وهي البلاد التي اشتهر فيها العلماء المسلمون في القرن الخامس الهجري.

**الدراسات السابقة :**

**الدراسة الأولى :**
**وعنوانها: تاريخ التعليم في الأندلس.**

وهي رسالة دكتوراه منشورة في الأدب، مقدم إلى كلية الآداب في جامعة الأوتونوما بمدريد للباحث: محمد عبدا لحميد عيسى، عام ١٩٨٢ م.

وقد هدفت الدراسة إلى التعريف بتاريخ دولة الأندلس منذ الفتح إلى نهاية الدولة الأموية، ومن ثم منذ سقوط الدولة الأموية إلى سقوط غرناطة. كما عرضت بعض مظاهر تدخل الدولة في التعليم في الأندلس. إضافة إلى ذلك درست المراحل التعليمية والتي تم تقسيمها إلى ثلاث مراحل، كما وضحت الدراسة مظاهر الاهتمام بتعليم الخاصة، وكذلك اهتمام الخاصة بالتعليم.

**الدراسة الثانية:**
**وعنوانها: التربية والتعليم في الأندلس.**

وهي رسالة ماجستير منشورة، للباحث: إبراهيم علي العكش، عام ١٩٨٦م.

وقد درست الإطار الجغرافي والتاريخي والاجتماعي، كما تعرضت للحديث عن الإطار الفكري النظري للدراسة، ويقصد به فلسفة التربية والتعليم في الأندلس والنظام التعليمي الذي انبثق من هذه الفلسفة. أما عن الإطار المادي للتربية والتعليم، فكان يعني مجموعة التدابير التي اتخذها المجتمع الأندلسي لتوفير بيئة مناسبة للتعليم مثل أماكن التعليم وكتب التعليم والمكتبات. كما شملت الدراسة دور الحكام

في الحركة التعليمية، وأثر ذلك الدور على اتجاهات التعليم. وتعرض الباحث لتخصصات المعلمين وثقافتهم ومؤهلاتهم. وذكر مهام المعلمين وطرائق تأديتهم، وتحدث عن الإجازات التي منحوها لطلابهم. وذكر شؤون المتعلمين (الطلاب) ومناهج التعلم ومراحل الدراسة. ودرس مواد الدراسة ومدى ارتباطها بحاجات المجتمع الأندلسي.

ومجمل الدراستين تتحدث عن التعليم في الأندلس من فتحها حتى سقوطها خلال القرون المتعاقبة. وهذه الدراسة خصص فيها الباحث التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري لاختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن القرون السابقة واللاحقة لهذا القرن، حيث تميز هذا القرن بعلماء ذاع صيتهم عبر القرون.

# الفصل الثاني

## الحياة العامة في الأندلس في القرن الخامس الهجري

ويشتمل على عدة مباحث هي:

المبحث الأول: الحياة السياسية.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية.

# الفصل الثاني

# الحياة العامة في الأندلس في القرن الخامس الهجري

## المبحث الأول: الحياة السياسية في الأندلس في القرن الخامس الهجري:

مع نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري عصفت الخصومات والنزاعات السياسية بحكم بني أمية في الأندلس، ولم تصمد أمام طوائف البربر والأسر العربية وطائفة الصقالبة، فلم تكن بداية الانهيار السياسي للأندلس فحسب، ولكنها سببت أضرارًا بالغة للمجتمع .

بدأت الفوضى في تاريخ الأندلس بقيام محمد بن هشام المهدي على الدولة العامرية والبيعة لنفسه كخليفة في سنة ٣٩٩هـ ومن بعده سليمان المستعين، فهشام المؤيد، ثم سليمان للمرة الثانية، حتى استطاع بنو حمود البربر أن ينتزعوا الخلافة، وأن ينتزعوا حكومة قرطبة لفترة قصيرة، ثم تطورت الحوادث بسرعة، وعاد بنو أمية فاستردوا الخلافة، وحكموا في قرطبة عدة أعوام أخرى (٤١٤ هـ - ٤٢٢هـ) (عنان،١٩٩٠م، ص١٣).

---

وبعد انتهاء الخلافة في الأندلس، عاشت الأندلس سنوات من الفرقة والتنافس، حاول عدد من المخلصين حتى سنة ٤٢٢ هجرية استمرار وحدته وإعادة خلافته، وبذلوا في ذلك الجهود الكبيرة دون جدوى، فانتابت الأندلس حالة مريعة تبعث على الأسى، عندها يبدأ قيام الطوائف، حين تصدع بنيان ذلك الصرح الشامخ فأعلن أهل قرطبة وعلى رأسهم أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور إلغاء الخلافة، وأسند

القرطبيون أمرهم إلى شيخ الجماعة الوزير أبى حزم بن جهور " فأعطوا منه قوس السياسة باريها، وولوا من الجماعة أمينها، فاخترع لهم - لأول وقته - نوعا من التدبير حملهم عليه فاقترن صلاحهم به، وأجاد السياسة فانسدل به الستر على أهل قرطبة مدته "(الحجي،١٩٧٦م، ص٣٢٣).

وانقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة، وإمارات مستقلة، وأعلن كل أمير نفسه ملكا، ودخلت الأندلس في عصر جديد، عُرف باسم "ملوك الطوائف"، وهو اسم صادق في مسماه، دالّ على ما كانت تعانيه البلاد من تمزق وانحلال، ولم يكن يربط بين ملوك دول الطوائف أي رابط ديني أو قومي فهم في شقاق مستمر، يقاتل بعضهم بعضا، وينتزع القوي منهم ما في يد الضعيف، ويستنصرون بالنصارى، ويحالفونهم ضد بعضهم دون وازع من دين أو ضمير، " وكانت جزيرة الأندلس قد تملكها من تاريخ ابتداء الفتنة سنة أربعمائة عدة ثوار، فصعب على أهلها مدافعتهم، وتلقبوا بألقاب الخلفاء، و ضربوا النقود بأسمائهم، وأثاروا الفتنة بينهم؛ لرغبة كل واحد منهم في الاستيلاء على صاحبه، واستنجدوا بالنصارى عندما اعتقد كل واحد منهم أنه أحق من صاحبه" ( عبد اللطيف، ١٩٨٨م، ص١٧٧). وصار الأمر فيها منقسما بين رؤساء ووزراء وقضاة العرب والبربر والصقالبة، واستقل كل منهم بما كان تحت أيديهم، ثم أورثوا الحكم عليه أولادهم أو أتباعهم، ويمتد هذا العصر – عصر ملوك الطوائف – من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٧م إلى أن قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف سنة ٤٨٤هـ/١٠٧١م، وكانت كل دويلة من دويلات هذه الطوائف تتشكل من مدينة وما حولها أو من مدينتين؛ وكان ملوكها من عصبيات مختلفة: عربا وبربرا ومولدين، وكان هؤلاء الملوك يتنازعون ويتخاصمون ويتصارعون فيما بينهم، ويحارب بعضهم بعضا، وكان يستنجد بعضهم بملوك الإسبان على بعض، وحتى مقابل هذا العون كانوا يدفعون الجزية إلى ملوك الإسبان، ونستطيع أن نقول: إن دويلات هذه الطوائف كانت خمسًا وعشرين دولة أو ما يقاربها، ومن أهم هذه الدويلات مايلي:

# الله غالب

**١- بنو جهور:**

لما انقطعت دعوة بني أمية ولم يبق من عقبهم من يصلح للإمارة ولا من تليق به الرئاسة، استولى على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد ويكنى (أبا الحزم) (المراكشي، ١٩٨٣م، ج١، ص ٣٢-٣٤). وكان أول من قام منهم بالأمر باختيار من شعب قرطبة ( عباس،١٩٨٥م ، ص١٦)، يؤيد ابن حيان هذا بقوله:" واجتمع الملأ من أهل قرطبة على تفويض أمرهم لأبي الحزم جهور، وعددوا من خصاله ما لم يختلفوا فيه، فأعطوا منه قوس السياسة باريها، وولوا أمر الجماعة أمينها" (المراكشي، ١٩٨٣م، ج١، ص ١٦)، وتشمل هذه الإمارة مدنا أخرى، منها: جيان وبياسة وأبدة. وقد قامت سياسة أبي الحزم على التآلف والمصانعة دون الحرب، ولما توفي (٤٣٥ هـ/١٠٤٣م) خلفه ابنه أبو الوليد بن جهور فسار على سيرة أبيه، وسقطت مدينة قرطبة بين أطماع بني عباد وبني ذي النون في يد العباديين، وهكذا زالت دولة بني جهور بعد أربعين سنة من الحكم (عباس، ١٩٨٥م، ص ١٦-١٧).

**٢- بنو عباد:**

هم من العرب الداخلين إلى الأندلس الذين حكموا في إشبيلية، أكبر دول الطوائف أش[illegible]ن حيث سعتها وتفوقها السياسي، وكان لها شأن وافر أيضا في النشاط العلمي. وقد حكم بنو عباد هذه المملكة وحاولوا إلحاق مناطق أو ممالك أخرى إلى مملكتهم ( الحجي، ١٩٧٦م، ص٣٨٧ ). وفيما ذكره ابن الخطيب عن بني عباد قوله:" جاء إلى الأندلس بعد الفتح رهط من لخم تفرقوا في أقطارها؛ وانحاز منهم إلى غربيها أخوان نعيم وعطاف؛ فنزل أحدهما بقرية يومين، وتناسل ولده بها مدة من الزمان، ثم انتقلوا إلى إشبيلية فنموا، وتصدروا للوجاهة والنباهة في دولة الحكم المستنصر بالله، ودولة ابنه هشام وحاجبه المنصور. وقد كان نشأ فيهم صدر بيتهم ومؤسس مجدهم إسماعيل بن عباد؛ فقدمه المنصور على خطة القضاء بها؛ فاتصل استعماله إلى زمن انقراض الإمامة الأموية. واستمرت حاله مع من نجا في الفتنة؛ فنظر في صلاح القطر، وحمله على الطريقة المثلى من السياسة، إلى أن نزل في

عينيه الماء سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م وقدح، فعاد بعض بصره، فلم يستجز الحكم بين الناس، فولى ولده أبا القاسم القضاء، واقتصر هو على رئاسة البلد وتولى رأي المشيخة. وكان نسيجًا وحده علما ومعرفة و أدبا وحكمة؛ فحمى مدينة إشبيلية من سطوة البرابر الذين اقتطعوا أحوازها ونزلوا حولها بالتدبير الصحيح، والرأي الراجح، والنظر في الأمور السلطانية، إلى أن هلك سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م" (ابن الخطيب، ١٩٥٦م، ص ١٥٢)، وكان إسماعيل عميد هذه الأسرة، ومؤسس ملكها في إشبيلية، ويبدو أن الذين توالوا بعده من أسرته في الحكم ينقصهم عدد من صفاته، والمعتمد لديه شيء منها. وهم ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن إسماعيل ابن عباد، ثم ابنه أبو عمرو عباد بن محمد الملقب بالمعتضد، ثم ابنه القاسم محمد بن عباد الملقب بالمعتمد وهو آخرهم (الحجي، ١٩٧٦م، ص٣٨٨)، فقد استولى المعتضد على (لبلة) وعلى حصون من مملكة بني الأفطس، وعلى (ولبة)، وعلى (جزيرة شلطيش) و(شنتمرية الغرب)، ثم فتح مدينة (شلب) وولّى عليها ابنه المعتمد، وبذلك أصبحت الدولة تمتد من شرقي الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي غربا والجزيرة الخضراء جنوبا. إلا أن المعتضد كان كغيره من ملوك الطوائف يدفع الجزية لفرناند، ولما جاء المعتمد سار على سياسة أبيه في التوسع فاستولى على (مرسية) وتحرش بمملكة غرناطة، وفاوض ألفونس ليحالفه كي يحتلا غرناطة معا، وكان ابن عمار رسولا إليه. وظل المعتمد يدفع الجزية لألفونس حتى اضطر إلى الاستعانة بالمرابطين بعد سقوط طليطلة (عباس، ١٩٨٥م، ص١٤).

**٣- بنو برزال:**

كانت قرمونة من أيام هشام المؤيد بيد أبي عبد الله البرزالي إلى زمان الفتنة، فلما اشتدت الفتنة وتفرقت الجماعة دعا إلى نفسه واسمه الحاجب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال بويع بقرمونة سنة (٤٠٤ هـ/١٠١٣م) فضبط قرمونة، وجمع رجالها، ورتب جنودها، وواسى رعيتها. وحاول أن ينشأ العدل فيها، فسارت إليه النفوس، وعمرت قرمونة ونواحيها، وتجنب البرابر حوزتها من أجله، كان الناس

يعيشون في رغد، كثر أمنها وخيرها على أحسن أحوال. زالت هذه الطائفة سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) (المراكشي، ١٩٨٣م، ج١، ص ٣١١-٣١٢).

**٤- بنو زيري:**

هم الصنهاجيون في غرناطة ومالقة. نظم هذه الإمارة حبوس ابن ماكسن وكون لها جيشا، وعقد بينه وبين الأمراء جيرانه روابط المودة، وحاول شيئا من التوسع فاستولى على (قبرة) و(جيان)، وخلفه ابنه باديس فكانت بينه وبين زهير العامري صاحب ألمرية حرب، قتل فيها زهير وكاتبه ابن عباس، ثم مد نظره إلى ما في يد بني حمود، وكانوا قد ضعفوا فاستولى على مالقة، وهنا اصطدم بابن عباد في نزاع من أجل الفوز بتلك المدينة، فكان النصر له على عباد. وقد طال حكم باديس وألقى شئون الدولة إلى وزيره اليهودي ابن النغرالة، وإلى نفوذ النساء في القصر، حتى ساءت الحال، وثار أهل غرناطة باليهود؛ فقتلوا كثيرا منهم. ولما توفي باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين، وتجددت المنافسة بينه وبين ابن عباد إلى أن سقطت طليطلة في يد ألفونس السادس ملك قشتالة، واتفق أمراء الأندلس على الاستعانة بالمرابطين. وكان المرابطون هم الذين أزالوا عبد الله عن ملكه (عباس، ١٩٨٥م ، ص١٣).

**٥- بنو الأفطس:**

هم أصحاب بطليوس، منتمون في الأصل إلى قبائل مكناسة، من مشاهير ملوك الطوائف، حكموا من سنة ٤١٣ هـ/١٠٢٢م إلى سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م. ولدولة بني الأفطس أثر في نهضة العلوم والفنون. ومنهم ابن الأفطس الملقب بالمظفر، صاحب التاريخ المسمى بـ(المظفري). وكان المتوكل ابنه في بطليوس كالمعتمد بن عباد بإشبيلية، وقد قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين، ومن قبله قتلوا ولديه وهو ينظر إليهما. قال ابن عبدون رائيته المعدودة من غرر القصائد الأندلسية في رثائه ورثاء ملوك بني الأفطس، والتي مطلعها:

الدهر يفجع بعد العين بالأثـر    فما البكاء على الأشباح والصور

وكانت مملكتهم واسعة، اشتبك صاحبها من جهة مع بني عباد في معارك عديدة ومع ذي النون من جهة أخرى، ووقف محمد بن الأفطس ضد فرناندو (فرديناند الأول) ملك قشتالة. وأخيرا وافق على أن يدفع الجزية لذلك الملك. وشهدت المملكة في عهد المتوكل ابن الأفطس شيئا من الاستقرار إلى أن أزيلت دولتهم من قبل المرابطين (المقري، ١٩٦٨م، ج ١، ص٤٤٠).

**٦- بنو ذي النون:**

من أعظم ملوك الطوائف بنو ذي النون ملوك طليطلة، وهي من الثغر الأوسط ومن الممالك المواجهة لحود الممالك الأسبانية، وكانت لهم دولة كبيرة، وبلغوا في البذخ والترف إلى الغاية. ومن رجال هذه الدولة إسماعيل بن ذي النون الملقب بالظافر، وولده يحيى الملقب بالمأمون، وحكم هذا الثاني ثلاثة وثلاثين عاما، وكان على نزاع مع ابن هود صاحب سرقسطة وابن عباد صاحب إشبيلية، وقد استعان المأمون بفرناندو ضد بني هود في مقابل دفع الجزية وإقراره له بالسيادة، عندئذ ذهب ابن هود أيضا يستعين بفرناندو.

غزا المأمون بلنسية مستوليا عليها، وحاول الاستيلاء على قرطبة، فلم يمكنه ابن عباد من ذلك. ولما تولى الأمر حفيده يحيى القادر اضطرمت من حوله الفتن، حتى فر ولجأ إلى ألفونس مستعينا به على إرجاعه إلى مملكته، فأعانه على ذلك. غير أن ألفونس استولى على طليطلة، وبذلك أدرك أمراء الطوائف طبيعة ما يحيط بهم من خطر(عباس، ١٩٨٥م، ص ١٤).

**٧- العامريون:**

حكموا في شرق الأندلس أي في ألمرية ومرسية وبلنسية ودانية وما والاها من جزائر. فكانت المرية والمرسية تحت حكم خيران العامري (٤٠٥هـ

٤١٩هـ/١٠١٤م-١٠٢٨م)، ثم خلفه فيهما زهير العامري (٤١٩هـ-٤٧١هـ/١٠٢٨م-١٠٨٨م)، وبعده انشطرت المدينتان في دولتين، فأصبحت المرية من نصيب بني صمادح (٤٣٣هـ-٤٨٤هـ/١٠٤١م-١٠٩١م)، وأصبحت مرسية من نصيب بني طاهر (٤٢٩هـ-٤٧١هـ/١٠٣٧م-١٠٧٨م)؛ أما دانية والجزائر فكانت لمجاهد العامري وابنه إقبال الدولة من بعده (٤٠٠هـ-٤٦٨هـ/١٠٠٩م-١٠٧٥م) إلى أن ضمها بنو هود إلى ملكهم وسقطت في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م في يد المرابطين (عباس، ١٩٨٥م، ص١٢)، وشهدت بلنسية عددا من الأمراء توالوا عليها إلى أن ثار فيها القاضي ابن جحاف (٤٨٥هـ-٤٨٧هـ/١٠٩٢م-١٠٩٤م) ومن يده أخذها السيد القنبيطور (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ومنه استولى عليها المرابطون (عباس، ١٩٨٥م، ص١٢).

**٨- بنو صمادح:**

إن هذه الطائفة حكمت في المرية، وكان محمد بن معن أشهر ملوكها، تلقب من ألقاب الخلفاء بالمعتصم بالله والرشيد (ابن الخطيب،١٩٥٦م، ص ١٩٠). ولما توفي المعتصم، أقام معز الدولة يصوب النظر في امتثال وصية أبيه فجعل يبدي غرضه في نقل زوجه بنت مجاهد إلى دانية، وينزل أسبابها إلى المدينة؛ ليكون أقرب إلى الإيساق في البحر. فلما كمل ما أراده من ذلك وافاه الخبر بتغلب المرابطين على ابن عباد وخروجه عن ملكه، فأمر رجاله بتجهيز الأغراض والأمتعة وحملهم إلى السفن في أسرع ما يمكن، وأحرق باقي الأشياء خشية الأتباع، وذهب إلى الجزائر وعاش هناك إلى أن توفي ( (ابن الخطيب،١٩٥٦م، ص ١٩٢)، وهكذا انقضت أيام بني صمادح.

**٩- بنو حمود:**

هؤلاء رشحوا أنفسهم للخلافة في الفتنة، فأصبح علي بن حمود خليفة بقرطبة، وتلقب بالناصر (٤٠٨هـ/١٠١٧م)، وولي بعده أخوه القاسم بن حمود المأمون، فثار

عليه ابن أخيه يحيى بن علي بمالقة، واستولى على قرطبة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) وتلقب بالمعتلي، وكذلك غلب على الجزيرة الخضراء ولكن أمده بقرطبة لم يطل إلى أن قتل (٤٢٧هـ/١٠٣٥م). فبويع إدريس بن علي ومن بعده حسن بن يحيى. وكان الصراع بين الحموديين أنفسهم سبب ضعفهم، وكذلك بنو عباد يطمحون إلى الاستيلاء على مملكتهم حتى تم ذلك عام ٤٤٦هـ/١٠٣٤م وبذلك زالت الدولة الحمودية في الجزيرة مثلما زالت من مالقة عام٤٤٩هـ/١٠٥٧م(عباس، ١٩٨٥م، ص ١٦).

**١٠- بنو هود:**

هم أصحاب سرقسطة أو الثغر الأعلى، توالوا عليها بعد أن زالت دولة التجيبيين التي لجأ إليها الشاعر ابن دراج؛ وأول بني هود سليمان الذي كان في حرب مع المأمون بن ذي النون، ولجأ كل منهما إلى ملك من ملوك الإسبان يستعين به في هذا الخلاف (عباس، ١٩٨٥م، ص١٥)، ولما مات ابن هود ترك خمسة أولاد ذكور وراءه، كان قد قسم عليهم في حياته ملكه الذي كان في حكمه؛ فولي أحمد بن سليمان مدينة سرقسطة بعد أبيه، وولي يوسف مدينة لاردة، وولي محمد قلعة أيوب، وولي المنذر بن سليمان مدينة طليطلة، وولي ابنه مدينة لبًا وشقة وكانت تحت حكم أخيه. واستبد هؤلاء الإخوة كلهم بأعمالهم بعد أبيهم ودعا كل واحد منهم إلى حوزته، فلم يزل أحمد بن سليمان يحتال على إخوته، حتى استطاع أن يخرج بعضهم من مواضعهم، وسجنهم وكحل بالنار بعضهم، غير أن صاحب مدينة لاردة يوسف حمى حوزته منه (المراكشي،١٩٨٣م، ج١، ص٢٢٢).

ولما رأى أهل الثغرة ما صنعه أحمد بن سليمان بإخوته كرهوه، جراء ذلك خلعوا طاعته، وصيروا أمرهم إلى أخيه يوسف، وقاموا بدعوته ولم يبق لأحمد إلا سرقسطة ((المراكشي،١٩٨٣م، ج١، ص٢٢٣) وقد قامت بين أحمد وبين حسام الدولة منازعات طويلة. وفي عهده غزا النورمانديون مدينة بربشتر (٤٥٦ هـ /١٠٦٣م) فتقاعس أحمد عن إنجادها لأنها كانت من أملاك أخيه ثم رجع إلى ضميره

وأعانه على استردادها. وكان المقتدر يدفع الجزية لملوك قشتالة مستعينا بالسيد القنبيطور ومن معه من جنود مرتزقة وكذلك استولى على دانية (٤٦٨ هـ /١٠٧٥م). وتجددت الفتنة بين خلفائه فعاد كل من المؤتمن وأخيه المنذر يستعين بالأجانب، وكان المؤتمن يعتمد على جهود السيد القنبيطور الذي كان العقل المدبر له، وبجهوده تم الاستيلاء على بلنسية. وقد اتخذه المؤتمن أداة يصد بها زحف المرابطين حتى وجد أن شانسو الأرجواني يهدد مملكة سرقسطة، فلجأ إلى حماية المرابطين، إلى أن قتل (٥٠٣هـ/١١٠٩م)، وتسلم المرابطون المدينة بدعوة من أهلها (٤٩٧هـ/١١٠٣م) (عباس، ١٩٨٥م، ص ١٥-١٦).

**١١- بنو يحيى:**

مؤسس هذه الدولة أبو العباس أحمد بن يحيى اليحصبي، بايعه أهل تلك النواحي مثل (ولبة)، و(جبل العيون). واستقامت له الأمور ولم يكن له معاند ولا ثار عليه أحد، كان محسنا على رعيته، قائما على شؤونه، ناظرا في إصلاح بلاده. وأيامه كانت هادئة راخية، واستمرت الأمور على هذه الشاكلة إلى أن توفي بها سنة ٤٣٣ هـ /١٠٤١م، ولم تدم هذه الدولة إلا عشرين سنة (المراكشي، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٩٩-٣٠٠).

**١٢- بنو القاسم:**

هم الفهريون في البونت، مؤسس هذه الإمارة هو عبد الله بن قاسم، وخلفه ابنه محمد عين الدولة (٤٢١هـ-٤٣٤هـ/١٠٣٠م-١٠٤٢م)، ثم أحمد عز الدولة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م). وقد تعرضت هذه الدولة الصغيرة لغارات السيد القنبيطور مما اضطرت إلى دفع الجزية له حتى استولى عليها المرابطون (١١٠٣/٤٩٧)(عباس، ١٩٨٥م، ص ١٦).

**١٣- بنو مزين:**

أسس هذه الدولة أبو بكر محمد بن سعيد بن مزين وكانت عاصمتها (شلب). وكان في أيام أبيه قد تسمى بـ"عميد الدولة" فتمت له البيعة، وكان الشعب يحبه لكثرة معارفه وأدبه وحسن خلقه، واستمرت هذه الدولة خمسين سنة(المراكشي، ١٩٨٣م، ج١، ص ٢٩٧-٢٩٨).

وأبلغ وصف على هذه الأحوال السياسية ما وصف به ملوك الطوائف علاّمة القرن الخامس الهجري الإمام ابن حزم حيث قال في شأنهم:" والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم، يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفهم"(عنان، ١٩٩٠م، ص٤٢٢)، وممّا قاله أيضا: " اجتمع عندنا بالأندلس في صقع واحد أربعة خلفاء، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة في موضعه، وتلك فضيحة لم ير مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام، كلّهم يتسمّى بالخلافة وإمارة المؤمنين، وهم خلف الحصري في (إشبيلية) من بعد اثنتين وعشرين عاما من موت هشام، فخطب له على منابر الأندلس، و سفكت الدماء من أجله، وحمد بن القاسم خليفة في الجزيرة الخضراء، ومحمد بن إدريس خليفة بمالقة، وبببشتر إدريس بن يحي بن علي" (العبادي، د. ت.، ص٤٦٩).

**١٤- بنو رزين:**

هم بالسهلة فملكها عبود بن رزين، بربري أصلا ومولدا بالأندلس، فلما هلك ولي بعده ابنه عبد الملك وكان أديبا وشاعرا (ابن الأثير، ١٩٨٦م، ص٢٩٣)، وخلفه ولده أبو مروان عبد الملك (ت٤٩٦هـ/ ١١٠٢م)، وقد طال أمد حكمه حتى بلغ ستين عاما من عمره، وقد أدى الجزية لألفونس بعد سقوط طليطلة، وخلفه ابنه حسام الدولة

يحيى، فلم يكن بشيء، ومنه استولى المرابطون على شنتمرية (٤٩٧هـ/١١٠٣م)، وخلعوه (عباس، ١٩٨٥م، ص ١٤).

**مرحلة ما بعد ملوك الطوائف:**

لقد حذر الله سبحانه وتعالى في آيات الذكر الحكيم من الفرقة والاختلاف و حث على الاجتماع، فقال تعالى : {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (سورة آل عمران: آية١٠٣)، وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (سورة الأنفال: آية ٤٦)، وقال: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } (سورة الروم: آية ٣١- ٣٢).

وجاءت الأحاديث النبوية الصحيحة تؤكد ذلك، قال عليه الصلاة والسلام : "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" (رواه أبو داود، رقم الحديث ٤٥٩٦).

ولما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر: إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وإن بني قد أقروا بذلك (رواه البخاري، رقم الحديث ٧٢٠٥)

عاشت الأندلس قلقة مضطربة تحت حكم ملوك الطوائف الذين انشغلوا بخلافاتهم على السلطة، والصراعات الطائفية والسياسية، وبدا لأهل الأندلس أن كل شيء بدأ ينذر بالسقوط والانهيار، وكثر المتآمرون وطغى الاستبداد، وكان هجوم النصارى

يتوالى على القواعد الإسلامية، وتوج ذلك بالاستيلاء على طليطلة سنة (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)، وذلك بعد حصار دام تسعة أشهر، حيث استعادها ألفونسو السادس الذي كان قبل سنوات قليلة لاجئاً فيها عند المأمون ابن ذي النون. وللأسف لم يكن سقوط هذه المدينة ليحرّك ملوك الطوائف، بل تهافت على ألفونسو السادس رسلهم مهنئين ومباركين وواضعين أنفسهم وأموالهم في خدمته، وبلغ من تخاذلهم واستسلامهم وضعف حميّتهم أن أهدى إليه أحدهم هديّة قيّمة، فأعطاه بدلا عنها قردا فصار يفخر بذلك على جميع ملوك الطوائف، معتقدا بأنّه حاز رضى الملك النصراني (طقوش، ٢٠٠٥م، ص ٤٧٠ ). في حين كانت قوة إسبانيا النصرانية تغذي هذه الخلافات مستغلة عوامل الوهن والأزمات في صفوف ملوك الطوائف، وتساعد بعضهم ضد البعض الآخر من أجل إضعافهم والانقضاض عليهم في النهاية، فلم يكن ممكناً لدول الطوائف أن تستمر، لكونها لم تكن تتوفر على أدنى شروط الدولة المستقلة، خاصة غياب سلطة مركزية، وعدم قدرة السلطات الحاكمة على فرض سلطتها على السكان، وحماية أراضيها من نهب الجيش الأجنبي. فهي في الواقع لم تكن دولاً بالمعنى المعروف، وإنما كانت أقرب منها إلى وحدات الإقطاع (عبد الحليم، د.ت، ص٢٧٥).

ومن رحمة الله ولطفه بالمسلمين أن ظهرت في هذه المرحلة دولة المرابطين التي نشأت في بلاد المغرب الأقصى ورفعت لواء الجهاد، وتمكنت من تحقيق انتصارات كبيرة فشاع ذكرها وذاع صيتها، فكانت أملا لأهل الأندلس، وكان لسقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م ) عظيم الأثر في ترسيخ فكرة الاستنجاد بالمرابطين.

وبعد أن يئس المسلمون من هؤلاء الأمراء المتخاذلين، وأيقنوا أن لا خير يرجى منهم، عقدوا اجتماعاً في قرطبة حضره جمع من العلماء على رأسهم قاضيها عبيد الله بن محمد بن أدهم (فقيه قرطبي توفي سنة ٤٨٦ هـ )( ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٤٥٩ ). فتشاور الجميع في حال الأندلس، وما وصلت إليه من ذلة وصغار، واقترح البعض الاستنجاد بعرب إفريقية الهلاليين، ولكن القاضي بن أدهم

تخوف من وصولهم و تخريبهم البلاد كمل فعلوا بإفريقية، وفي مقابل ذلك اقترح أن يستنجدوا بالمرابطين فهم أقرب وأصلح، فطلب منه المجتمعون أن يكاتب يوسف بن تاشفين وأن يستدعيه وفوّضوه بالأمر (شبارو، ٢٠٠٢ م، ص ٢٣٩).

اجتمع ملوك الطوائف للتدبر في الخطر المحدق بهم، ووضع حد لخلافاتهم للتفرغ لدرء خطر ألفونسو عنهم، ولم تكن قوى ملوك الطوائف تكفي لدفع خطر ألفونسو، وحماية أنفسهم من هجماته؛ فتطلعت أبصارهم إلى الضفة الغربية من البحر المتوسط؛ حيث دولة المرابطين، وكانت دولة قوية، بسطت نفوذها بالمغرب، واشتهر سلطانها يوسف بن تاشفين بحبه للجهاد وإقامة حكومة على العدل والقسطاس (السويدان ، ١٤٢٦هـ، ص٢٨٠).

وكان للمعتمد بن عباد يد طولى في الاستعانة بالمرابطين في جهادهم ضد ألفونسو فأشار عليهم علماؤهم بالجهاد، ولكن الملوك عارضوا ذلك، لأنهم غير قادرين على مواجهة ألفونسو، فاقترح عليهم علماؤهم الاستعانة بيوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، ولكن الملوك تخوفوا، فالمرابطون دولة قوية ولو أنها هزمت النصارى فستبسط نفوذها على الأندلس وتخضعهم لها. فاحتدم الجدال بينهم وقام المعتمد بن عباد، وقال: «والله لا يسمع عني أبدا أنني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى، فيلعنني الناس من فوق المنابر، وتالله لرعي إبل سلطان مراكش أحب إلي من أن أغدو تابعا لملك النصارى وأؤدي له الجزية، ووالله لرعي الإبل في المغرب خير لي من أن أرعى الخنازير في أوروبا» (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٤، ص ١٣٢). فتحمس لقوله كل من المتوكل وعبد الله بن حبوس، وأرسلوا وفدا مهيبا إلى يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين في المغرب الذي ابتهج لطلبهم، ووجد فيه فرصة للجهاد في سبيل الله فجهز جيشا من سبعة آلاف رجل، وعبر بهم مضيق جبل طارق. وفي منتصف الطريق هاج البحر وارتفعت الأمواج فوقف خاشعا لله يدعوه: «اللهم إن كنت تعلم في عبورنا هذا البحر خيرا لنا وللمسلمين فسهل علينا عبوره وإن كنت تعلم غير ذلك فصعبه علينا حتى لا نعبره»، فسكنت الريح وهدأ البحر

وعبر الجيش حتى وصل قشتالة، وانضم إليه أهل الأندلس حتى وصل تعداد جيشه إلى نحو ثلاثين ألف رجل، والتحم مع ألفونسو في معركة (الزلاقة) وهزمه ثم عاد إلى مملكته في المغرب (السويدان ، ١٤٢٦هـ، ص٢٨٥، ص٢٨٧).

**معركة الزلاقة** :(١٢ من رجب ٤٧٩هـ = ٢٣ من أكتوبر ١٩٨٦م)

سميت بالزلاقة لغزارة الدماء التي سالت فانزلقت الخيول والناس، وقد عقرت تحت ابن عباد ثلاثة أفراس كلما عقر فرسًا قدم آخر (السويدان ، ١٤٢٦هـ ، ص٢٩٠).

لقد أثمرت جهود العلماء في الأندلس بإقناع ملوك الطوائف بالاستنجاد بالمرابطين، فجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وكان المعتمد بن عباد أول من تلقاه، بعد أن وافق على تسليمه الجزيرة الخضراء، وفي تلك الأثناء كان الفونسو يحاصر سرقسطة، فلما بلغه جواز ابن تاشفين رفع الحصار عنها، وبدأ يحشد الجيوش ويستنجد بالنصارى، فوفد إليه كثير منهم، والتقى الجيشان المرابطي - وقد انضمت إليه قوات المعتمد و بعض السرايا التي بعثها أمراء الطوائف مثل ابن صمادح وابن بلقين- والجيش المسيحي في الزلاقة قرب بطليوس، وكانت معركة عظيمة أبلى فيها الأندلسيون بقيادة المعتمد بلاء حسنا، وحسم يوسف بن تاشفين أمر المعركة لصالحه؛ إذ تمكن المسلمون من قتل معظم الجيش النصراني، وأصيب ألفونسو السادس إصابة بليغة في ركبته ظل يعرج منها إلى آخر عمره، غير أنه تمكن من الفرار في قلة من جنده (السويدان،١٤٢٦هـ، ص١٨٧-٢٩٠).

وقد أحيت هذه المعركة قلوب المسلمين بالأندلس، وأسهمت إلى حد كبير في الإبقاء على ما تبقى من الأندلس في أيدي المسلمين لقرون أخرى، غير أنّ يوسف بن تاشفين لم يحظ بالشهرة التي نالها صلاح الدين الأيوبي بتحريره بيت المقدس، وإنجاز بن تاشفين في أقصى ديار الإسلام الغربية لا يقل أهمية عن إنجازات صلاح الدين في المشرق (عنان، ١٩٩٠م، ص ٣٢٠).

**سقوط دول الطوائف:**

بعد أن عاد يوسف بن تاشفين رحمه الله إلى أرض المغرب، حدثت الصراعات بين أمراء المؤمنين الموجودين في بلاد الأندلس على غنائم معركة الزلاقة، وحدثت الصراعات على البلاد المحررة، فضج العلماء، وذهبوا إلى يوسف بن تاشفين يطلبون منه الدخول مرة أخرى إلى الأندلس؛ لتخليص الشعب من هؤلاء الأمراء، فتورع يوسف بن تاشفين من محاربة المسلمين، فأتته الفتاوى من كل بلاد المسلمين؛ من الشام من أبي حامد الغزالي صاحب الإحياء -رحمه الله-، وكان معاصرا ومن أبي بكر الطرطوشي العالم المصري الكبير، ومن كل علماء المالكية في شمال إفريقية، جاءته الفتاوى بأن عليه أن يدخل إلى البلاد، ويضمها إلى دولة المرابطين حتي ينجد المسلمين مما هم فيه (السويدان، ١٤٢٦هـ، ص٢٩٣، ٢٩٥). فعبر يوسف بن تاشفين بجيش ضخم إلى الأندلس للمرة الثالثة لهذا الغرض الذي عزم عليه في سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، وكان قد عبر إليها قبل ذلك في سنة( ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، ولكنه لم يقم بغزوات ذات شأن، وازداد سخطا لما بدا من تقصير أمراء الطوائف في نصرته، وفي هذه المرة اتجه يوسف بن تاشفين إلى طليطلة، واجتاح في طريقه أراضي قشتالة دون أن يتقدم أحد من ملوك الطوائف لنصرته بعد أن توجسوا منه خيفة، وأدركوا ما عزم عليه، وكان أمير المرابطين يرغب في استعادة طليطلة، ولكنه لم يوفّق نظرا لمناعتها، وقوة أسوارها، فعاد إلى إشبيلية وفي نيته أن يستخلصها هي وغيرها من مدن الأندلس وحواضرها، وازدادت عزيمته إصرارا على تنفيذ ما وقر في قلبه بسبب ما ترامى إليه من عودة ملوك الطوائف إلى عقد اتفاقيات سرية مع ملك قشتالة، يتعهدون فيها بالامتناع عن معاونة المرابطين، واستهل يوسف بن تاشفين حملته الظافرة بالاستيلاء على غرناطة، ودخلها في (١٠ من رجب ٤٨٣هـ = سبتمبر ١٠٩٠م) (السويدان، ١٤٢٦هـ ، ص٢٩٦). وممن حاربه المعتمد بن عباد الصديق القديم في معركة الزلاقه الذي رفض الانضمام تحت

لواء المرابطين، وحرض شعبه على قتالهم لكن شعبه رفض مؤازرته، فاضطر للاستسلام في رجب ٤٨٤هـ (السويدان، ١٤٢٦هـ ، ص٢٩٧).

واستطاع يوسف بن تاشفين أن يضم كل بلاد الأندلس وضمها إلى بلاد المسلمين وأصبح يوسف بن تاشفين أميرا على دولة تصل من شمال الأندلس بالقرب من فرنسا إلى وسط إفريقيا. وبهذا انتهى عصر ملوك الطوائف الذي امتد من سنة ٤٢٢ هـ إلى سنة ٤٨٤ هـ.

ومن خلال العرض السابق، نستنتج أن ملوك الطوائف كانوا أبعد الناس عن الإحساس أو الاهتمام بقضايا دولة الإسلام في الأندلس، والتي كانت تعاني وقتها من تسلط القوى الإسبانية النصرانية في شمال الأندلس، ولا عزيمة لهم إلا في تحصيل الملذات والشهوات واكتناز الثروات من أي سبيل، ولا يهمهم شيء سوي الحفاظ علي كراسيهم ومناصبهم، ولا يبالون بحلال ولا حرام ولا مبادئ ولا أخلاقيات في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة. وعلينا الاستفادة وأخذ العبر من هذه الأحوال التي مرت بها الأندلس في هذا القرن خاصة وأن الظروف السياسية تكاد تتشابه في ذلك القرن وعصرنا الحاضر.

**المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية في الأندلس في القرن الخامس الهجري:**

**١- التركيب العرقي:**

كان المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري خليطًا من الأجناس، إذ امتزج العرب والبربر -الذين كانوا غالبية جيش طارق بن زياد فاتح الأندلس- والأسبان -أهل البلاد الأصليون- بالمولدين والصقالبة -وهم على الأغلب من الرقيق والخصيان الذين يؤتى بهم بالأخص من بلاد الإفرنج، وحوض الدانوب، ومختلف ثغور البحر المتوسط النصرانية، وكان يؤتى بهم أطفالاً من الجنسين، ويربون تربية إسلامية، ثم

يدربون على أعمال البطانة وشؤون القصر، وقد سما شأنهم فيما بعد، وتولوا مناصب الرياسة والقيادة (عنان،١٩٩٠م، ص٢٤٣-٢٤٤). ورغم هذا الاختلاف العرقي فقد استطاعت الثقافة العربيّة أن تحافظ على وحدتها.

**٢- التركيب الديني:**

تميز المجتمع الأندلسي بثلاث ديانات: الإسلام دين العرب والبربر الفاتحين ومن تولد منهم من السكان ثم المسيحية معتقد النصارى الذين ظلوا على دينهم من أهل البلاد وعاشوا في رعاية المجتمع الإسلامي، واليهودية، مما يدل على سماحة الدولة الإسلامية في الأندلس وهو ما يحدث به جوستاف لوبون: " بلغ حلم عرب أسبانيا نحو الأهلين المغلوبين مبلغاً كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية... وكانت أسبانيا بلد أوروبا الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم فيه كثير جداً" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص١٦).

ووصف المقري تدين أهل الأندلس قائلاً: "الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة في ذلك وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان". (المقري، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٤٥).

ويقول عبد الرحمن الحجي عن أحوال الأندلس الدينية في ذلك العهد: "استمرت الأندلس خلال هذا العهد في تقدمها وتحسين أحوالها على أسس جديدة تنسجم والشريعة الإسلامية في العمق والشمول،... وعبق الإسلام عطراً بحياة هذا البلد، وتدارس الناس هذا الدين، ونمت دراسة علومه وزاد الاهتمام بها" (الحجي، ١٩٧٦م، ص ١٠٠).

**٣- التركيب الطبقي:**

انقسم المجتمع الأندلسي إلى طبقات تعتليها الطبقة الأرستقراطية، ويتمثلها ملوك الطوائف والأمراء الذين تمتعوا بألوان الترف؛ من القصور والمتع والملذات مهما

غلت أثمانها، فقد كانوا يبنون القصور، وينفقون في هندستها أموالاً باهظة في سبيل تحقيق متعهم، فهذا المأمون بن ذي النون ملك طليطلة يشيّد قصراً عظيماً أنفق عليه الأموال الطائلة ووضع في وسطه بحيرة، "وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملوّن منقوش بالذهب، وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون، فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطاً بها، ويتصل بعضه ببعض، فكانت قبة الزجاج في غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجري، والمأمون قاعد فيها لا يمسّه من الماء شيءٌ ولا يصله، وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب" (المقري، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٥٢٨).

وفي المرتبة الثانية الحاشية أو البطانة، وهم من بيت الأمير ورجاله الذين يقومون على أمور الدولة كالحجاب، وقادة الشرطة، والقضاة، والوزراء، وقد كان موظفو الدولة ممن يتولّون شؤون الرعيّة لا يراعون الشرع، ولا همّ لهم إلاّ أن يزدادوا ثروة وخاصة أولئك الذين أُوكلوا بجمع الضرائب ومراقبة الناس، ويصف ابن عبدون أعوان صاحب المدينة بأنهم شر الناس ولا يجب أن يصدّق كلامهم إلاّ إذا شهد على ذلك الجيران "لأن الشر أحب إليهم من الخير، فمنه يأكلون ويلبسون السحت، ومنه يعيشون، وليس للخير إليهم طريق، يجب ألا يخرج منهم في رسالة في المدينة أكثر من واحد لئلا يكثر الجعل والهرج والأذى"(بروفنسال، ١٩٥٥م، ص ١٦).

ثم يلي ذلك طبقة التجار وأصحاب الصناعات، ثم يأتي أسفل الهرم المزارعون والفلاحون وطبقة الصناع والحرفيون، الذين يبذلون الجهد الكثير وينالون القليل، ويؤيد هذا كلام ابن حزم الأندلسي (٣٨٤هـ- ٤٥٦هـ) إذ يقول:" إن الأندلس لم تخمّس وتقسم كما فعل رسول الله فيما فتح، ولا استطيبت أنفس المستفتحين، وأقرت لجميع المسلمين، كما فعل عمر رضي الله عنه، ولكن نفذ الحكم فيها لأن كل يد ما أخذت " ( ابن حزم، ١٩٨١م، ج٣، ص ١٧٦).

وذكر خالص "سعة قطاع الحرفيين والعمال الصناعيين والزراعيين، الذين

انتشروا في تلك الأرياف، وفي المصانع، يقضون سحابة نهارهم بالعمل، يهيئون للطبقات الأرستقراطية حياتها الرخية الهنية، فيلبسون من أنوالهم الحرير، ويأكلون من صيدهم الطيور والحيتان، وهم لا يجدون إلا الفراغ القليل والمال القليل الذي يحول دون الاستفادة الكاملة من الفرص التعليمية المتاحة، نظرا لبعدهم عن مراكز الثقافة من جهة، ونظرا للجهود الزائدة المرهقة التي يتحملونها من جهة أخرى. ولعل ذلك يفسر ضآلة دور هذه الطبقات في الحياة الثقافية كما كان شأنها في الحياة السياسية" (خالص، ١٩٦٥م، ص٤٩).

**المجتمع الأندلسي في القرن الخامس:**

اشتهر أهل الأندلس بحبهم للنظافة في ملبسهم ومأكلهم وفرشهم، وكل ما يتعلق بهم، "وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه، فيطويه صائماً، ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها"(المقري، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٢٣).

واعتاد سائر الناس أن يسيروا في الشوارع ورؤوسهم عارية، أما الفقهاء والقضاة فالغالب عليهم وضع العمائم في غرب الأندلس، أما في الشرق فيرى القاضي أو الفقيه عاري الرأس ويندر أن يتعمّم. ويلبس الخاصّة منهم الطيلسان، أما غفائر الصّوف فكانوا يلبسون الخضراء والحمراء منها؛ حيث اختص اليهود بلبس الصّفراء، ولا سبيل لليهود أن يتخذوا العمائم ولا يجوز أن يرخي الذّؤابة إلاّ عالم. وكانت الأوضاع التي تلبس بها العمائم في المشرق غير معروفة عند الأندلسيين فإذا رأوا مشرقياً أظهروا التعجّب والاستطراف، وكانت ثيابهم تفصل على طريقتهم الخاصّة حيث لم تكن الطريقة المشرقية في تفصيل الثياب متبعة لديهم ( المقري، ١٩٦٨ م، ج ١، ص ٢٢٣).

وكانت منازل الأندلسيين لا تختلف كثيراً عن بقيّة المنازل في العالم الإسلامي

وكانوا يستعملون في بنائها الآجر والحجر، وكان للحجر عندهم أنواع منها الخمري والأحمر والأبيض، وكانوا يجعلون لبيوتهم جدراناً عالية، أمّا الأبواب والنوافذ فكانت صغيرة، وكانوا يحرصون على أن يكون للبيت ساحة واسعة، وكان لسكان الأندلس عدّة هوايات يمضون بها أوقات فراغهم، فقد كانوا ينظمون سباقات الخيل، ويقيمون مباريات بين الفرسان وهم يتقاذفون كرة خشبية، كما كانت مباريات المصارعة بالعصيّ تحظى لديهم بالعناية، وكان اللعب بالشطرنج والنرد رائجاً عندهم رواجاً كبيراً (علي، ١٩٥٠م، ص٣٢٩).

وقد اشتهر الأندلسيون ببراعتهم وحذقهم وذكائهم وثباتهم وصمودهم في الحروب مع أعدائهم، ومواظبتهم على التعلم والتحصيل، وحيويتهم وخفة دمهم، وكانوا شديدي التعصب لبلادهم، نرى ذلك من أنسابهم، فلا نكاد نجد عالماً ولا أديباً إلا وينسب لبلده (أمين، ١٩٦٦م، ص٨١).

وفرضت في عهد الطوائف أنواع من الجباية على الرعيّة، وفرضت المغارم على الأهالي، حتى الحاج لم ينج من دفع مغارم في موسم الحج، إلى أن أبطل ذلك يوسف بن تاشفين بعد دخوله الأندلس وقضائه على ملوك الطوائف (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٤٩٧).

لقد أسرف ملوك الطوائف في الترف، وتفننوا في صنوف من البذخ، وسأذكر كلاما لبعض علماء ذلك العصر ممّا وقفت عليه حول مواقفهم من ملوك الطوائف، وفي مقدمتهم علاّمة الأندلس في القرن الخامس الهجري (ابن حزم)، فإنّ له مقالة نفيسة في هؤلاء جاء فيها: " اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملّتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عمّا قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارتهم، وبجمع أموال ربما كانت سببا في انقراض أعمارهم، وعونا لأعدائهم عليهم، وعن حياضة ملتهم التي بها عزّوا في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهل الذمة وانطلقت ألسنة أهل

الكفر والشرك بما لو حقق أهل النظر أرباب الدنيا لاهتموا بذلك، فضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحمية للملة الغرّاء" ( ابن حزم، ١٩٨١م، ج٢، ص٤١).

فهذا المعتمد بن عباد ملك إشبيلية يرى زوجته "اعتماد" وهي تطل من شرفات القصر ترقب سقوط الثلج فأجهشت بالبكاء، فسألها المعتمد عن حالها فأخبرته بأنها تحنّ إلى منظر سقوط الثلج، وتريد أن تسافر إلى بلد يكثر فيه سقوط الثلج لتمتع ناظرها بجمال الطبيعة الفاتنة، فطمأنها المعتمد بأنها سترى هذا المنظر في الشتاء القادم في ذلك المكان نفسه. وأصدر أمره في الحال أن تغرس أشجار اللّوز في حدائق القصر حتى إذا أزهرت في فصل الشتاء بدت زهراتها البيضاء في عين "اعتماد" كقطع الثلج تجلّل أغصان الأشجار، ورأت نسوة من العامّة يعجن الطين لصنع اللبن، فأثر فيها المنظر وبكت، فلما رآها المعتمد باكية سألها عن السبب، فأخبرته بأنها مقيّدة الحريّة لا تستطيع أن تفعل فعل هؤلاء النسوة، فأمر في الحال بإحضار مقدار كبير من المسك والعنبر وبعض الأعطار فعُجن كل ذلك إلى أن أصبح عجينة في حجم تلك التي كانت تعجنها النسوة، فنزلت "اعتماد" إلى مساحة القصر هي وجواريها، وخلعن نعالهن وصرن يعجن بأقدامهن ذلك الطين المصنوع من المسك (المقري، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٢٧٢).

وكان المعتمد ينفق على الشعراء بدون حساب حتى إنه ليخلع على الشاعر منهم خلعاً لا تصلح إلا للخلفاء. ومضى المعتمد وكثير من ملوك الطوائف في حياة الترف والمرح، لا ينفقون في مهام الدولة إلاّ القليل من وقتهم، وقد كانت الولائم الكثيرة ومجالسة الشعراء وعقد مجالس الشرب، واللهو مع القيان والجواري تستنفد كثيراً من أموالهم ووقتهم. (المقري، ١٩٩٥م ، ج ١، ص ٥٢٨). وقد كان كل ملك من هؤلاء الملوك يحاول أن يجعل من مملكته ملتقى للشعراء والأدباء والمغنّين، ونشطت بذلك تجارة الرقيق، واجتهد النخّاسون في تعليم الجواري الرّوميات الغناء،

وضروباً أخرى من الثقافة لترتفع أجورهنّ. وكثر الطلب على الجواري المغنيات فقد دفع هذيل بن رزين صاحب السهلة في جارية ابن الكتاني ثلاثة آلاف دينار(المراكشي، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ٣٠٨). وكثر المغنون في بلاطات الملوك، وكان في قصورهم أسراب منهم، حتى إن المعتمد بن عباد كان يصحب الموسيقيين معه أثناء حملاته الحربيّة(عنان، ١٩٩٠م، ص٤١٩). ولم يقتصر شيوع الغناء على بلاطات الملوك فقط، بل شاع في أوساط العامّة، فها هي بلنسيّة لا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلاّ وقد اتخذ عند نفسه مغنّية، وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني (ابن الدلائي، ١٩٦٥م، ص ١٨). وكانت مجالس الغناء لا تخلو من الشراب، وكانوا لا يستطيعون الجهر بذلك في عهد الأمويين، أما في عهد ملوك الطوائف فقد أصبح الخمر شائعاً في مجالسهم لضعف الوازع الديني، وبذلك استسلم المجتمع للشهوات فزاد ضعفاً (البتنوني، ١٩٢٧م، ص ١١٩).

ولجأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب، فهذا مظفر ومبارك العامريان حاكماً بلنسية قد انغمسا في النعيم إلى قمة رأسيهما، وذلك على حساب الرعيّة فقد كانا " يستزيدان عليها في الوظائف الثقال... حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر ويأكلون البقول والحشيش وقّر كثير منهم من قراهم"(المراكشي، ١٩٨٣م، ج٣، ص ١٦٢). وقد حاول المرابطون بعد دخلوهم الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين سنة ٤٩٥ هـ، وقضائهم على ملوك الطوائف، أن يوفروا الحياة الهادئة للمجتمع الأندلسي، ويحاربوا كثيراً من مظاهر التفكك والانحلال الاجتماعي.

وفي ظل هذا الحكم اضطرب المجتمع الأندلسي، وانتكست مثله، واشتد الغلاء وانتشرت الأوبئة وعمت الكوارث، فقد كانت رحى الحروب تعصف بالرعيّة، وانعدم الاستقرار والأمن وفسدت أخلاق الناس، واستبيحت المحرّمات، وهتكت الأستار، ونقضت شرائع الدّين، وفسدت نفوس الحكّام والمحكومين حتى إنه لم يعد

يعلم في الأندلس درهماً أو ديناراً حلالاً (عباس، ١٩٨٥م، ص ١٧٤).

**المرأة الأندلسيّة:**

إنّ المرأة في الأندلس احتلت مكانة عظيمة في المجتمع ولقد قدّر الرجل الأندلسي المرأة الأندلسية، وبالغ في تبجيلها. ومن القصائد والمقطوعات التي قالها الأندلسيون في المرأة تظهر هذه المكانة العظيمة في قلوبهم.

لقد سيطرت العادات المشرقية على المرأة الأندلسية، ولكن هذا لم يحرمها من أن تتمتع بحريّة في حدود المعقول، فقد كانت تخرج للصلاة يوم الجمعة، وبعد الانتهاء من الصلاة كانت ترى في شوارع المدينة تمضي يوم عطلتها في بهجة ومرح، كما كانت تشترك في الحفلات التي تقام في إشبيلية على ضفاف الوادي الكبير (بعيون،٢٠٠٧ م، ص٧ ).

وقد نشطت المجالس الأدبية في القرن الخامس الهجري فكانت النساء المثقفات يُقِمْن المنتديات الأدبية في منازلهنّ، ولم تكن تلك المجالس تخلو من عامل المنافسة بين المتبارين، رجالاً ونساء؛ لأنّ كل أديب أو شاعر كان يحاول أن يعرض مقدرته الأدبية واللغوية ومخزونه الفكري؛ ليسمو على خصمه وينال ثناء الآخرين واحترامهم وتقديرهم. وأبرز تلك المنتديات الندوة الأدبية التي أحْيَتْها (ولادة بنت المستكفي) في قصرها، وكانت سبب شهرتها؛ وكان يرتادها كبار الشعراء. وحذت شاعرات أخريات حذو ولادة؛ فعقدْن المنتديات الأدبية في منازلهنّ، ولكنها لم تكن بمستوى ندوتها. ومن هذه الندوات الندوة العلمية التي كانت تقيمها حمدة بنت زياد بن بقي العوفي في منزلها؛ فقد كانت تقيمها من أجل التدريس، وليس من أجل المبارزة الشعرية. فكانت تلك المجالس الأدبية أصدق مرآة يستجلي فيها القارئ صورة عصر من العصور؛ لأنّ فيها يطّلع على عادات القوم وأخلاقهم وتقاليدهم، ومن خلالها يلمح وجهة تفكيرهم (الصّيرفي، ١٩٥٠م، ص ٤٤).

وقد ألف الأندلسيون في المرأة كتباً أشهرها " طوق الحمامة " لابن حزم، وابن حزم هذا الذي يعد مثلاً رائعاً في سعة المعارف وتنوع الثقافة، قد أشرفت النساء على تربيته، ويروي ابن حزم قصصاً كثيرة عن المرأة في ذلك العهد، تصوّر حياة المجتمع والدّور الذي احتلته المرأة فيه، فيورد كثيراً من قصص النساء ذوات الشرف وكيف كنّ يتعلقن بحب رجال من عامّة الناس، ويتم تبادل الرسائل بينهم، وكثيراً ما كان أمرهنّ يفتضح لدى الناس ويسمع به القريب والبعيد. ويبدو أن أثر المرأة في المجتمع كان كبيراً، فقد استطاعت أن تسيطر حتى على كبار الأئمة وتميل قلوبهم وتجعلهم سخرية، وامتد تأثيرها إلى أكثر من ذلك إذ أنها كانت سبباً في جنون بعض الرجال ممن اشتهروا بحسن سيرتهم وأدبهم (الصّيرفي، ١٩٥٠م، ص ١٠٤).

ومن النساء من استطاعت أن تملك قلوب الملوك، وتلج إلى قصورهم، وتصبح سيدة القصر الأولى. فقد تمكّنت "اعتماد" المشهورة بالرّميكيّة بفضل ذكائها وفطنتها أن تكون زوجة للمعتمد بن عباد ملك اشبيلية وأمّا لأولاده. وقد كانت المرأة في هذا العهد على قدر كبير من الفطنة والعلم، فابن حزم العالم الفقيه قد تعلّم على أيدي النساء في صباه: "وهنّ علمنني القرآن وروّينني كثيراً من الأشعار ودرّبنني في الخط" (الصّيرفي، ١٩٥٠م، ص١٠٠).

ومن النساء اللّواتي اشتهرن بالعلم والأدب "العبادية" التي أهداها مجاهد العامري ملك دانية إلى المعتضد بن عباد والد المعتمد، فقد كانت أديبة ظريفة، كاتبة وشاعرة عالمة بكثير من علوم باللّغة. كما اشتهرات بثينة بنت المعتمد بن عباد وابنة الرّميكية بجمالها وحلاوة نادرتها ونظمها للشعر. وكانت مريم بنت يعقوب الأنصاري تعلّم النساء الأدب. أما نزهون الغرناطية فقد اشتهرت بجمالها وخفة دمها، وحفظها للشعر والأمثال (المقري، ١٩٩٥م ، ج ٤، ص ٢٨٣). ويتضح مما سبق أن المرأة الأندلسيّة في القرن الخامس الهجري كانت تتمتع بمكانة عالية في

المجتمع. فكانت انطلاقتها في المجتمع الأندلسي أوسع مما كانت عليه في البلدان العربية والإسلامية الأخرى.

من الواضح أنه لم يكن للاختلاف العرقي والديني في المجتمع الإسلامي تأثير سلبي، مما يدل على سماحة الدولة الإسلامية في الأندلس، وتعايش المسلمين مع غيرهم وتقبلهم في ظل شريعة الإسلام .

وأرى أن هذا من الدروس المستفادة التي ينبغي بثها بين المتعلمين في مؤسسات التعليم، وبيان حقيقة التسامح الإسلامي في ظل الحملة الإعلامية الغربية على الإسلام، ووصفه بالإرهاب.

**المبحث الثالث: الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الخامس الهجري:**

لقد شكلت القوة الاقتصادية، لبلاد الأندلس خلال القرن الخامس الهجري تناقضا واضحا بالمقارنة مع جميع الدويلات المسيحية في شمال أسبانيا وبلاد المغرب، ولقد احتوت الأندلس على أخصب الأراضي وأكثرها إنتاجا في شبه الجزيرة الايبيرية، امتدت عبر الوادي الكبير غربا وضمت مناطق من بلنسيا وسرقسطة شرقا وكانت الزراعة في معظم هذه الأراضي تعتمد على الري.

إن المجتمع الأندلسي كان فلاحيا بالأساس والإنتاج الفلاحي هو الذي يسد حاجيات هذا المجتمع من المواد الأساسية (بن عبود، ١٩٨٣م، ص١٦٣).

فأحوال الأندلس الاقتصادية لا تختلف عن أحوالها السياسية، فاعتداءات ألفونسو السادس شكلت ضغطا اقتصاديا رهيبا على ملوك الطوائف، وذلك باستنزاف مواردهم المالية عن طريق فرض الضرائب السنوية (بلغيث، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٥)، وازدادت مقاديرها إلى درجة أن بعضهم عجز عن أدائها، وقد خلّف هذا الضغط واقعا اجتماعيا مزريا، فامتلأت خزائن ألفونسو السادس بموارد إضافية قدّرت

بحوالي ٤٠ كغ من الذهب سنويا، في حين نجد أنّ ملوك الطوائف زادهم هذا الأمر ذلا علـى ذل، و لـم يستطيعوا ضبط الأمور داخليا و خارجيا (بوتشيش، ٢٠٠٢م، ص١١٩).

**١- الزراعة:**

ازدهرت الزراعة في الأندلس في عصر الطوائف وقد كان أهل الأندلس من أنبغ الشعوب فـي فلاحة الأرض وتربية الماشية وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري والصرف، ومعرفة أحوال الجو، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات، وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال فـي الجودة والتنسيق والنماء، ويرجع ازدهار الزراعة إلى شغف ملوك الطوائف بإنشاء الحدائق والبساتين اليانعة وتربية الغراس والزهور النادرة (عنان،١٩٦٠م، ص ٤٤١)، وكان للعرب نظام دقيق روى كثيرا من السهول التي تحيط بمدنها (سيديو، ١٩٤٨م، ص٣١٥).

لقد كانت المناطق الريفية تسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بمنتوج القمح الذي يكون المصدر الأساسي للغذاء، أما صناعة الزيت فكانت نشيطة بسبب انتشار غرس أشجار الزيتون، واشتهرت أرض الأندلس بإنتاج الزيتون، واللوز، والرمان، والبرقوق، والموز، فضلا عن التين، وخاصة ما كان يعرف في أشبيلية بالتين القوطي، والتين السفري، وإلى جانب ذلك ازدهرت منتوجات كانت تستخرج مع النبات كالعطور، وأخرى كالتوابل مثل الزعفران (بن عبود،١٩٨٣م، ص١٦٤).

ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك، فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومعامل الأسلحة، ومصانع النسيج، والجلود، والسكر، وبرعوا في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات، ولا يوجد في الأندلس من أعمال الري خلا ما أتمه العرب، وأدخلوا إلى حقول الأندلس زراعة قصب السكر، والأرز، والقطن، والموز (الدوميلي،١٩٦٢م، ص ١٠١ ).

**٢ - التجارة:**

التجارة كانت ناشطة، وكانت "أساطيل الأندلس التجارية تقلع من مالقة وبجاية وألمرية ولشبونة وبرشلونة، تحمل إلى الشرق والغرب حاصلات الأندلس "(علي، ١٩٥٠ م، ص٢٥٩)، والتجارة كما نعلم " تحمل مع البضائع كتبا وأفكارا" (بدر،١٩٧٢ م، ص١١٢)، وتتطلب ممارستها مستوى من التعليم، ومثل هذا النظام يتطلب مجموعة من المهارات التي تتدخل فيها التربية بشكل أو بآخر. فازدهرت التجارة مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتمكين العرب في الأندلس من الاتصال بالعالم الخارجي، وبالرغم من القوة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها بلاد الأندلس فإن عدم الاستقرار السياسي الذي تميز به عهد ملوك الطوائف كان له أثر وخيم على الأوضاع الاقتصادية وتجلى ذلك في:
الأول: إن التقسيمات السياسية عرقلت التعاون الاقتصادي؛ ذلك أن عمق وحدة النزاع السياسي بين دول الطوائف الذي اتخذ الطابع العسكري خلال مدة فاقت السبعين عاما، قد ازداد تفاقما.

الثاني: إلى جانب عدم الاستقرار السياسي، وجد تناقض خطير تمثل في توحيد مملكتي ليون وقشتالة تحت إمرة الفونسو السادس، وقد تمكن هذا الأخير بفضل الوضعية المضطربة التي كانت عليها دول الطوائف من أن يستأثر بثمار الاقتصاد الطائفي عن طريق ممارسة الضغوط على هؤلاء الملوك (بن عبود،١٩٨٣م، ص١٦٧).

وحكي عن أبي الحسن الأشبيلي التاجر (توفي ٤٤٧هـ) من أهل قرطبة أنه " عني بالعلم في صباه، ودارس وناظر، وصحب العلماء، فرزق فهما وحظا وجاها، ولم يدع مع ذلك تجارته بسوقه مرشدا لمن استفتاه" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص٢٦٧).

٣- الصناعة:

كانت تشمل كثيرا من الصناعات الهامة مثل صناعة الحديد والنحاس والزجاج والنسيج. وكانت صناعة النسيج بالأخص من أهم وأشهر الصناعات أيام الطوائف، وكان بمدينة المرية وحدها خمسة آلاف منسج تنتج أفخم وأجمل أنواع الأقمشة وكانت السفن من مختلف ثغور المشرق، ومن الثغور الإيطالية، تقصد إلى ألمرية وغيرها من الثغور الأندلسية محملة بالسلع من كل ضرب، ثم تعود محملة بالسلع الأندلسية وكانت دول الطوائف ذات الثغور مثل (أشبيلية وألمرية وبلنسية ودانية) و(سرقسطة) تجني من التجارة الخارجية أرباحا طائلة ( عيسى،١٩٨٢م، ص ٤٤٢)، وكانت لهم مناجم الياقوت بالقرب من مالقة وباجة، وكان المرجان يستخرج من شواطئ طركونة، وصار الناس لا يتحدثون في الشرق وفي شواطئ أفريقية عن غير نصال طليطلة، وحرير غرناطة، وسروج قرطبة وجلودها (سيديو، ١٩٤٨م، ص ٣١٤).

كما انتشرت الصناعات في مختلف أنحاء الأندلس، فتخصصت (مورسيا) في صناعة الطرز الذهبي، وصناعة الزرابي والأساور المذهبة والمقصات والسكاكين، وفي صنع الأسلحة، أما (ألمرية) و(مالقة) فقد تخصصتا أيضا في الطرز الذهبي، وصناعة الخزف والأواني الزجاجية. واشتهرت (غرناطة) بصناعة ثوب حريري ملون عرف باسم (المبلد)، كما كان يصدر إلى الشرق زليج ملون ولامع عرف باسم الزليجي. وفي أشبيلية عرفت المنتوجات المعدنية شهرة واسعة ضاهت الشمال المسيحي ومن جملتها صناعة الأقواس والرماح والسهام، بالإضافة إلى صناعة السرج المزينة (بن عبود،١٩٨٣م، ص١٦٦).

إن المعادن والمنتوجات الصناعية الأخرى كانت تستغل على نطاق واسع خلال فترة حكم ملوك الطوائف، حيث شهد القرن الخامس الهجري تشييد أفخم القصور الأندلسية وأجمل المنشآت المعمارية وفي مقدمتها المسجد الأعظم بقرطبة. ومثل هذه

المنشآت كانت تتطلب قسطا وفيرا من الذهب والفضة والمواد الأخرى المستعملة في التزيين والزخرفة.

واعتبرت المعادن من أهم الثروات الطبيعية التي جادت بها أرض الأندلس. ولتنوعها تعددت مناطق استخراجها حيث وجدت سبعة أنواع من المعادن، فالصفر كان موجودا في مناطق مختلفة من البلاد بينما كان يتم تحويل الرمال في لبلة إلى زجاج، وبالنسبة للرخام فكان يستخرج من عدة مناطق، فمثلا في قرطبة وجد الرخام الأبيض والأحمر، أما الرخام الأسود وهو أقل قيمة من سابقيه فتعددت نواحيه.

وفيما يخص الذهب فإنه كان يستورد من الشرق ومن أفريقيا عن طريق المغرب، ومع ذلك وجدت كمية منه في بعض مناطق شبه جزيرة إيبيريا. ونظرا لتعدد المعادن عرف استغلال المناجم في الأندلس (بن عبود،١٩٨٣م، ص١٦٥).

روى القاضي عياض عن أبي الوليد الباجي (٤٠٣-٤٧٤هـ) نقلا عن ثقة من أصحابه اشتغاله بحرفة إلى جانب التعليم، وأنه كان يخرج إليهم- إذا جاؤوه للقراءة- " وفي يديه أثر المطرقة وصدأ العمل، إلى أن فشا عمله، وشهرت تواليفه، فعرف حقه وجاءته الدنيا" (عياض، ١٩٨٨م، ج٤، ص٨٠٤). لقد كان أبو الوليد الباجي يزاول الحدادة، ويفهم من النص أنه كف عنها عندما اشتهر وأقبلت عليه الدنيا.

وأكثر الأندلسيون من إنشاء الطرق، والجسور، والفنادق، والمساجد في كل مكان، وكانت البحرية العربية في الأندلس قوية جداً، وبفضلها كانت تتم صلات العرب التجارية بجميع مرافئ أوربا وأفريقيا وآسيا، وظل العرب وحدهم سادة البحر المتوسط زمناً طويلاً (لوبون، ١٩٦٩م، ص٢٧٦). فأنشأوا أسطولاً ضخماً لمواجهة قوة الأسطول البيزنطي، ولضمان أمن السواحل العربية من هجماتهم، كما اتخذوا من بعض جزره القريبة من السواحل العربية مراكز بحرية للأسطول العربي، منها كريت وصقلية، ومالطة، وجزر البليار، وجزر قبرص وسردينية، فكانت قبرص

تحمي شواطئ سوريا، وكريت تحمي شواطئ مصر، كما تحمي صقلية شمال أفريقيا، وتحمي جزر البليار الأندلس، فأصبحت الشواطئ العربية في أواخر القرن التاسع للميلاد في مأمن من أي غزو بيزنطي (زكريا، د.ت.، ص٢٥٣).

ويستنتج مما سبق مساهمة الاقتصاد الأندلسي بتنوعه إلى زيادة الإنتاج والدخل، وعلى الرغم من تبديد ملوك الطوائف هذه الثروات على ملذاتهم إلا أنهم ساهموا في ازدهار الحياة العلمية، ولاسيما أنه وجد حكام شجعوا العلم وهم أنفسهم كانوا مثلاً عالياً في حب الكتب وجمعها والاهتمام بها، ولهذا أرى أهمية دعم الدول الإسلامية للتعليم بشكل أكبر مما هو عليه الآن وزيادة المخصصات المالية لتشجيع البحث العلمي.

ومن خلال مباحث هذا الفصل وفقراته يتبين لنا أن عصر ملوك الطوائف شهد اضطرابا سياسيا، فقد كانت الموارد الاقتصادية سببا أساسيا في هذا التناحر والتنازع بين هذه الدويلات، مما أثر على الحالة الاجتماعية لشعب الأندلس. ومن هنا تتضح أهمية الاستقرار السياسي والاقتصادي لأي دولة تهتم باستقرار الحياة العامة لشعبها وحمايته من أطماع الآخرين. وهذا يدلنا على أن تغليب المصالح الخاصة لملوك الطوائف كان على حساب المصلحة العامة للأمة في الأندلس. وهذا ما يجب الحذر منه والتنبه إليه في عالمنا الإسلامي. وعلى مؤسسات التعليم تضمين مصالح الأمة في مناهجها التعليمية وجعلها من الأولويات وتوجيه المعلمين والمتعلمين على التمسك بها وفق ما شرع الله.

# الفصل الثالث

## العلماء المسلمون في الأندلس في القرن الخامس الهجري

ويشتمل على مبحثين هما:

المبحث الأول: مكانة العلماء المسلمين.

المبحث الثاني: إنتاج العلماء المسلمين.

# الفصل الثالث

# العلماء المسلمون في الأندلس في القرن الخامس الهجري

**المبحث الأول: مكانة العلماء المسلمين في الأندلس في القرن الخامس الهجري:**

انقسم علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري قسمان هما: قسم ساند أمراء الطوائف في تبرير سياساتهم. وهؤلاء كانوا يخدمون هذا الأمير أو ذاك من أجل الحصول على المال أو النفوذ، وقد استفزت أعمالهم بعض كتاب ذلك العصر. ومنهم "من حاول أن يستفيد من التشاحن والتطاحن بين ملوك الطوائف والانتقال من خدمة أمير إلى آخر إذا ما تضرر من الأول، أو وجد فرصة لثراء أكبر. فمن النوع الأول حكم بن حباشة الذي فر من سجن أبي الوليد ابن جهور ودخل في خدمة بني ذي النون، فولاه المأمون حكم قرطبة عندما دخلت تحت أمرهم، وهرب ابن زيدون من سجن أبي الحزم بن جهور إلى المعتضد بن عباد بإشبلية، ففرح به وولاه وزارته حتى وفاته عام٤٦٣هـ /١٠٧٠م. وخرج محمد بن أحمد بن الحداد بن أمرية إلى سرقسطة بعد مضايقة بني صمادح له. ولجأ السميسر إلى المعتصم بن صمادح عندما هجا عبد الله بن بلكين" (الشرقي، ١٤٢٣هـ، ص٢٧٥). وصور ابن حزم ذلك بقوله:" لا يغرنكم الفساق المنتسبون إلى الفقه واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم" ( ابن حزم،١٩٨١م، ج٣، ص ١٧٤).

وتنقل بعض العلماء بين عدد من ملوك الطوائف بحثا عن دخل أكبر أو مكانة اجتماعية أفضل، من هؤلاء أبو الوليد سليمان الباجي الذي تنقل بين ملوك الطوائف، وتولى القضاء في عدد من المناطق، فأثرى بعد فقر، وأصبحت له مكانة عالية عند أولئك الملوك، فقد قال يصف حاله:" لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل إلى

الشمس". وهناك أمثلة أخرى مع ابن عطيون، وأبي بكر الداني وعبد الوهاب بن أحمد بن حزم. الذي حصل على مكانة اجتماعية من تنقله وعمله عند ملوك الطوائف. ومنهم من استقر به المقام بعد كثرة تنقل وترحال عند أحد ملوك الطوائف مثل ابن دراج الذي وجد ما يأمل فيه عند المنذر بن يحيى التجيبي في سرقسطة، ومنهم أبو المطرف بن مثنى مع المأمون بن ذي النون في طليطلة وأبو محمد بن وهبون المرسي مع المعتمد بن عباد في أشبيلية، وأبي عبد الله محمد البزيلاني مع بني عباد (الشرقي،١٤٢٣هـ، ص٢٧٥-٢٧٦).

"ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين كالملح: فيهم الأمراء والفقهاء قل ما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يفسدون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له، ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون، قد نكبوا بهم على نهج الطريق ذيادًا عن الجماعة، وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكده الله عليهم من التبين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافهم، آخذا بالتقية في صدقهم" (عنان،١٩٦٠ م، ص٤٢١).

وقسم آخر من العلماء والفقهاء رفضوا إعانة ملوك الطوائف، فرفضوا تولي المناصب احتجاجا على الفوضى السياسية والأخلاقية التي كان يعيشها الحكام، وقد عرض بعضهم نفسه لغضب الحكام، وانتقامهم كما حدث للفقيه " أبو حفص عمر بن الحسن الهوزي" الذي قتله المعتضد بيده، عندما نبهه إلى الخطر الذي يتهدد البلاد نتيجة سياسة ملوك الطوائف (ابن بسام، ١٩٧٩م ،ج١، ص٨١). كما قام حفيد المعتضد المأمون الفتح ابن محمد بن عباد بقتل الفقيه عمر بن حيان بن خلف بن حيان ومثل بجثته عام ٤٧٤هـ (ابن بشكوال، ١٩٥٥م ،ج٢، ص٤٠٣).

ومما سبق يتضح لنا أن العلماء خلال القرن الخامس الهجري مارسوا دورين مختلفين: دور انتهازي نفعي بغرض الثراء والسلطة على حساب قضايا الأمة، ودور آخر ديني وطني قام به العلماء الصادقون من خلال الرسائل الموجهة للحكام أنفسهم،

أو وصف الحال الذي مرت به الأندلس، أو الدعوة إلى التوحد، أو بذل الجهود إلى المصالحة، أو المشاركة في الجهاد.

**دعوة العلماء إلى الوحدة:**

لقد نشط العلماء في الدعوة إلى الوحدة والجهاد في سبيل الله، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال هذا الوضع المتردي الذي وصلت إليه بلادهم، فحاولوا جمع الشتات ولم الشمل. فهذا أبو محمد بن عبد البر النمري كان يحض على الجهاد، ويدعو إلى جمع الشمل، واتحاد الأمة قائلا:" ولو كان شملنا منتظما وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكا والأنامل في اليد اشتراكا، ما طاش لنا سهم، ولا سقط لنا نجم، ولا ذل لنا حزب، وفل لنا غرب، ولا روع لنا سرب، ولا كد لنا شرب ولكنا عليهم ظاهرين، إلى يوم الدين" (ابن الأبار،١٩٥٦م، ج١، ص٣١٤).

وكان أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد قد تطوع في إزالة الخلافات بين ملوك الطوائف وجمع كلمتهم " وكانت له عند ملوك الأندلس بعصره حظوة ومكانة، يسفر لأجلها بينهم في تسكين ما ينبعث لبعضهم مع بعضهم أيام الفتنة " (ابن الأبار،١٩٥٦م، ج١، ص٣١٥).

وقد دفع بعض الفقهاء حياته ثمنا لمواقفه الحازمة والصريحة تجاه ملوك الطوائف، ومن هؤلاء المحدّث أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني، الذي جسّد بحقّ نموذج الشجاعة والجرأة التي أبان عنها بعض العلماء في الأندلس تجاه حالة التمزّق التي تشهدها أرض المسلمين، و ما نجم عن ذلك من خطر صليبي (بوتشيش، ٢٠٠٢م، ص١٢٣)، وممّا حفظ عنه قبل وفاته أنّه بعث إلى أمير إشبيلية المعتمد بن عباد رسالة ملتهبة يحرضّه فيها على الجهاد، فأنشد هذه الأبيات:

أيا أسفا للدين إذ ظـلّ نهبـة بأعيننا و المسلمون شهـود
أعيذكم أن تذهبـوا فيمسكم عقاب كما ذاق العقاب ثمـود

الشمس". وهناك أمثلة أخرى مع ابن عطيون، وأبي بكر الداني وعبد الوهاب بن أحمد بن حزم. الذي حصل على مكانة اجتماعية من تنقله وعمله عند ملوك الطوائف. ومنهم من استقر به المقام بعد كثرة تنقل وترحال عند أحد ملوك الطوائف مثل ابن دراج الذي وجد ما يأمل فيه عند المنذر بن يحيى التجيبي في سرقسطة، ومنهم أبو المطرف بن مثنى مع المأمون بن ذي النون في طليطلة وأبو محمد بن وهبون المرسي مع المعتمد بن عباد في أشبيلية، وأبي عبد الله محمد البزيلاني مع بني عباد (الشرقي،١٤٢٣هـ، ص٢٧٥-٢٧٦).

"ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين كالملح: فيهم الأمراء والفقهاء قل ما تتنافر أشكالهم، بصلاحهم يصلحون، وبفسادهم يفسدون، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا بما لا كفاية له، ولا مخلص منه، فالأمراء القاسطون، قد نكبوا بهم على نهج الطريق ذيادًا عن الجماعة، وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم، صدوف عما أكده الله عليهم من التبين لهم، قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم، وخابط في أهوائهم، وبين مستشعر مخافهم، آخذا بالتقية في صدقهم" (عنان،١٩٦٠ م، ص٤٢١).

وقسم آخر من العلماء والفقهاء رفضوا إعانة ملوك الطوائف، فرفضوا تولي المناصب احتجاجا على الفوضى السياسية والأخلاقية التي كان يعيشها الحكام، وقد عرض بعضهم نفسه لغضب الحكام، وانتقامهم كما حدث للفقيه " أبو حفص عمر بن الحسن الهوزي" الذي قتله المعتضد بيده، عندما نبهه إلى الخطر الذي يتهدد البلاد نتيجة سياسة ملوك الطوائف (ابن بسام، ١٩٧٩م ،ج١، ص٨١). كما قام حفيد المعتضد المأمون الفتح ابن محمد بن عباد بقتل الفقيه عمر بن حيان بن خلف بن حيان ومثل بجثته عام ٤٧٤هـ (ابن بشكوال، ١٩٥٥م ،ج٢، ص٤٠٣).

ومما سبق يتضح لنا أن العلماء خلال القرن الخامس الهجري مارسوا دورين مختلفين: دور انتهازي نفعي بغرض الثراء والسلطة على حساب قضايا الأمة، ودور آخر ديني وطني قام به العلماء الصادقون من خلال الرسائل الموجهة للحكام أنفسهم،

أو وصف الحال الذي مرت به الأندلس، أو الدعوة إلى التوحد، أو بذل الجهود إلى المصالحة، أو المشاركة في الجهاد.

**دعوة العلماء إلى الوحدة:**

لقد نشط العلماء في الدعوة إلى الوحدة والجهاد في سبيل الله، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال هذا الوضع المتردي الذي وصلت إليه بلادهم، فحاولوا جمع الشتات ولم الشمل. فهذا أبو محمد بن عبد البر النمري كان يحض على الجهاد، ويدعو إلى جمع الشمل، واتحاد الأمة قائلا:" ولو كان شملنا منتظما وشعبنا ملتئما، وكنا كالجوارح في الجسد اشتباكا والأنامل في اليد اشتراكا، ما طاش لنا سهم، ولا سقط لنا نجم، ولا ذل لنا حزب، وفل لنا غرب، ولا روع لنا سرب، ولا كد لنا شرب ولكنا عليهم ظاهرين، إلى يوم الدين" (ابن الأبار،١٩٥٦م، ج١، ص٣١٤).

وكان أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد قد تطوع في إزالة الخلافات بين ملوك الطوائف وجمع كلمتهم " وكانت له عند ملوك الأندلس بعصره حظوة ومكانة، يسفر لأجلها بينهم في تسكين ما ينبعث لبعضهم مع بعضهم أيام الفتنة " (ابن الأبار،١٩٥٦م، ج١، ص٣١٥).

وقد دفع بعض الفقهاء حياته ثمنا لمواقفه الحازمة والصريحة تجاه ملوك الطوائف، ومن هؤلاء المحدّث أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني، الذي جسّد بحقّ نموذج الشجاعة والجرأة التي أبان عنها بعض العلماء في الأندلس تجاه حالة التمزّق التي تشهدها أرض المسلمين، و ما نجم عن ذلك من خطر صليبي (بوتشيش، ٢٠٠٢م، ص١٢٣)، وممّا حفظ عنه قبل وفاته أنّه بعث إلى أمير إشبيلية المعتمد بن عباد رسالة ملتهبة يحرضّه فيها على الجهاد، فأنشد هذه الأبيات:

أيا أسفا للدين إذ ظـــلّ نهبــة بأعيننا و المسلمون شهــود
أعيذكم أن تذهبـــوا فيمسكم عقاب كما ذاق العقاب ثمـود

وأقبح بذكر يستطير بأرضكم يؤم بـه أقصى البلاد وفـود

( بن بية، ٢٠٠٠م، ص١٣٥).

وقد صوّر الفقيه ابن العسال حال المسلمين بالأندلس بأنها بائسة، يملؤها القلق والرعب، إذ هم ضحية لتكالب أعدائهم النصارى وجبن حكامهم فأنشد:

ولقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الأصماء

باتت قلوب المسلمين برعبهم فحماتنا في حـربهم جبناء

(بن بية، ٢٠٠٠م، ص١٣٥).

فلا شك في أنّ وصف حكام المسلمين في هذه الأوقات الصعبة بالجبن لأعظم دليل على نفور هذا الفقيـه منهم وشدّة نكيره عليهم، كما يعتبر مثالا لموقف العلماء الواضح تجاه هؤلاء الذين حملوا ألقاب الخلفاء. و قال أيضاً:

يا أهل الأندلس حثـوا مطيــكـم فمـــا المقــام بهـا إلا مـن الغلـــط

الثوب يــنسل من أطرافه و أرى ثوب الجزيرة منسولا مـن الوســط

و نـحن بـين عـدو لا يفـارقنــــا كيـــف الحيــاة مع الحيّات في سفط

(ابن بسام،١٩٧٩م، ج ١، ص٩٥).

وقد نشط العلماء في المطالبة بالوحدة والجهاد في سبيل الله، وكان من أشهرهم أبو الوليد الباجي. الذي طاف بلاد الأندلس ودعا إلى وحدة الصف بعد أن عاد من رحلته العلمية من المشرق، حيث وجد الأندلس بعد غيابه " ملوكها أضداد، وأهواء أهلها ضغائن وأحقاد، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد، ولذلك رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما أنبت من تلك الأسباب، فقام مقام أهل فرعون، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب، وأجزل حظه بالتأنس والتقريب، وهو في الباطن يستجهل نزعته، ويستثقل طلعته" (ابن بسام، ١٩٧٩م،ج١، ص٩٥ -٩٦). وأشار المقري إلى ذلك بقوله " ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاما، وجد ملوك الطوائف أحزابا متفرقة،

فمشى بينهم في الصلح، وهم يجلونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن" (المقري، ١٩٦٨ م ، ج٢، ص٢٩٢).

وبعد أن تفاقم الخطر على الأندلس، انتدبه بعض ملوك الطوائف فيما بينهم "وترسل للملوك، وولي القضاء بعدة مواضع" (المقري، ١٩٦٨ م ، ج٢، ص ٢٨٧)، وقد ذكر ابن الآبار أن المتوكل ابن المظفر ابن الأفطس (٤٦٠-٤٨٧هـ) انتدب أبا الوليد الباجي للطواف على ملوك الطوائف " ولما عظم بعث الطاغية أنفونش بن فرذلاند وتطاول إلى الثغور، ولم يقنع بضرائب المال، انتدب للتطواف على أولئك الرؤساء القاضي أبا الوليد الباجي ، يندبهم إلى لم الشعث، ومدافعة العدو، ويطوف عليهم واحدا واحدا، وكلهم يصغى إلى وعظه" (ابن الأبار،١٩٥٦م، ج٢، ص٩٨).

كما ذكر القاضي عياض في ترجمته للباجي أنه " توفي في ألمرية سنة أربع وسبعين لسبع عشرة خلت من رجب، وكان قد جاء إلى ألمرية سفيرا بين رؤساء الأندلس، يؤلفهم على نصرة الإسلام، ويروم جمع كلمتهم مع جنود المغرب المرابطين على ذلك، إلا أنه توفي قبل تمام غرضه (عياض، ١٩٧٠م، ج٢، ص ٣٥١).

وقد وجه ابن حزم الأندلسي النقد اللاذع لملوك الطوائف على فسادهم وخنوعهم للنصارى، واضطهادهم لرعيتهم، ووصفهم بأنهم محاربون لله تعالى، وفاسدون لأخذهم أموال رعيتهم عن طريق الضرائب الجائرة التي يفرضونها عليهم (ابن حزم،١٩٨١م، ج٣، ص١٧٣)، كما طالب ابن الحزم الناس بالثورة على ملوك الطوائف، مذكرا إياهم بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ابن حزم،١٩٨١م، ج٣، ص١٧٤).

أما ابن حيان فقد وجه نقده إلى الأمراء والفقهاء الذين ضلوا عن الطريق الصحيح، ومالوا إلى النزاع والفرقة، أما الفقهاء فمنهم من استساغ الجلوس على

موائد الأمراء، ومنهم من ربط لسانه خوفا من بطشهم،فيقول: " ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم، هم كالملح فيهم: الأمراء والفقهاء ... فقد خص الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا هذين... فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم.." (ابن بسام، ١٩٧٩م، ج١، ص١٨١،١٨٠).

ويتضح مما سبق أن ما قام به الفقهاء من جهد للحث على الوحدة ولم الشمل، كان له أثره في استجابة بعض ملوك الطوائف لدفع الخطر المحدق بهم، فلم يستطع ملوك الطوائف الاستمرار بصم الآذان عن النداءات المتكررة من الفقهاء والعامة، التي طالبتهم برص الصفوف والاستنجاد بالمرابطين، بمعنى توحيد كلمة المسلمين ليس في الأندلس فحسب، وإنما في المغرب أيضا لمواجهة وحدة الأمم النصرانية، فاتجه لهذه الغاية وفد أندلسي شعبي سنة ٤٧٤هـ /١٠٨١م إلى المغرب لاستصراخ ابن تاشفين لإنقاذ الأمة الإسلامية مما هي فيه من تكالب النصارى عليهم، وعرضوا على يوسف ابن تاشفين المخاطر التي تهدد الأندلس من قبل النصارى، وما عانوه من أعدائهم، فوعدهم بالمساعدة، " وفي سنة ٤٧٤هـ وفد عليه جماعة من أهل الأندلس، وشكوا إليه ما حل بهم من أعدائهم، فوعدهم بإمدادهم، وإعانتهم، وصرفهم إلى أوطانهم" (زكار،١٩٧٩م، ص٣٣).

ومن تلك الجهود ما أورد صاحب التكملة في ترجمة أبي عبد الله محمد بن حسين بن محمد بن عريب الأنصاري (ت. بعد عام ٥٠٨هـ) أنه " سكن سرقسطة، وتجول كثيرا في بلاد الأندلس والعدوة ... وكان وجيها عند الملوك مترددا عليهم" (ابن الأبار،١٩٥٦م ،ج١، ص٣٣٤). فبعد سقوط طليطلة وفد على ابن تاشفين العديد من السفارات طلبا للنجدة " وكان يوسف بن تاشفين لا يزل تفد عليه وفود الأندلس، مستعطفين مجهشين بالبكاء، ناشدين الله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيستمع إليهم، ويصغي إلى أقوالهم..." (ابن الخطيب، ١٩٥٦م، ص٢٤٣).

وأما السفارات الرسمية التي تمثل ملوك الطوائف، فقد بدأت رحلتها إلى المغرب بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م لطلب العون من ابن تاشفين (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٤، ص١٣٢).

وكان المعتمد بن عباد أول من سعى من ملوك الطوائف لتوحيد الكلمة لمواجهة الفونسو السادس، "فخاطب صاحب بطليوس وصاحب غرناطة، في تحريك قاضييهما إلى حضرته للاجتماع بقاضي الجماعة بقرطبة، فوصل من بطليوس قاضيها أبو إسحق بن مقانا، ومن غرناطة قاضيها القليعي، واجتمعا في أشبيليه بالقاضي أبي بكر بن أدهم، وانضم إليهم الوزير أبو بكر محمد بن أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون ثم توجهوا جميعا إلى ابن تاشفين..." (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٤، ص١٣٢). ويذكر ذلك أيضا الأمير ابن بلقين بقوله: "وقد كان رسلنا قد مضوا مع رسل المعتمد إلى أمير المسلمين، على اتفاق ضم بعضنا فيه بعضا إلى حقيقة، وعاقدنا أمير المسلمين على أن تتصل الأيدي على غزو الروم بمعونته.." (ابن الكردبوس، ١٩٧١ م، ص٨٩-٩٠). وقد أرسل المعتمد بن عباد كتابا إلى يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٩هـ /١٠٨٦م بين له فيه الحالة التي وصل إليها ملوك الطوائف في الأندلس من الفرقة والتخاصم وعدم نصرة بعضهم بعضا وطلب منهم النجدة (زكار،١٩٧٩م ، ص٤٥-٤٦). وقد ذكر ابن أبي زرع أن المعتمد بن عباد نهض إلى يوسف بن تاشفين في دار إقامته بالمغرب بنفسه لطلب العون، ونجدة المسلمين ثم قدم له شرحا وافيا عن الوضع السياسي والعسكري لأمراء الطوائف، واشتداد وطأة الفونسو على المسلمين وما يمارسه بحقهم من القتل والأسر والحصار، وقد أثار ذلك الحمية الإسلامية في يوسف بن تاشفين فقال للمعتمد:"ارجع إلى بلدك وخذ في أمرك، فإني قادم عليك في إثرك إن شاء الله... " (زكار،١٩٧٩م، ص١٤٤).

مما سبق، يظهر أن العلماء والفقهاء قاموا بدورهم الديني والوطني على أكمل وجه، فقد أبدوا معارضاتهم لملوك الطوائف لتقاعسهم عن رد عادية النصارى، وفي

الوقت نفسه بذلوا جهدهم لإقناع أولئك الملوك بضرورة الاستنجاد بالمرابطين فضلا عن مشاركتهم الفعلية في المعارك المختلفة بين المسلمين والنصارى، مثل الفقيه يعلى المصمودي الذي شارك في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ /١٠٨٩م واستشهد فيها (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٢٥). كما استشهد فيها الفقيه فضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد الحافظ بن حزم، ومنهم من شارك في المعركة ولم يرزق الشهادة مثل الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان المعروف بابن القصيرة، وقد انفرد بذكر روايته حول معركة الزلاقة، والتي تعد من الروايات النادرة التي وصلت على لسان شاهد عيان (ابن بسام، ١٩٧٩م ، ج ١، ص٢٤١).

ومما لاشك فيه أن ذلك الدور الذي قام به علماء الأندلس كان نتيجة اتحاد النصارى في حربهم ضد المسلمين، ودعم البابوية لهم، مما صبغ تلك الحروب بالصبغة الدينية، لذلك نهض الآخرون بدورهم الديني بالحض على الجهاد وحماية المسلمين، وكانت حملة العلماء تلك من الوسائل المهمة التي أدت إلى وقف التوسع النصراني في الأندلس، وإلى بعث المصلحة الإسلامية العليا في نفوس ملوك الطوائف، فالمعتمد بن عباد عندما قرر طلب العون من ابن تاشفين نصحه بعض الملوك أن يتريث في ذلك، وحذرته حاشيته من عاقبة الأمر (المراكشي، ١٩٨٣م ،ج٤، ص١٣٢). إلا أنه لم يلتفت إلى تحذيراتهم، وأجابهم بقوله المشهور:" رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير" (المراكشي، ١٩٨٣م ،ج٤، ص١٣٢).

**تخليص الأندلس من حكم ملوك الطوائف :**

لم يتوقف دور العلماء في تخليص الأندلس من الخطر النصراني بالدعوة إلى الوحدة والجهاد والاستنصار بالمرابطين، بل تجاوز ذلك إلى تخليص الأندلس من حكم ملوك الطوائف الذين عادوا إلى سيرتهم الأولى من التفكك والتودد إلى ملوك النصارى، وكان سبيلهم لتحقيق ذلك السعي لدى ابن تاشفين للإطاحة بهم، وإصدار الفتاوى التي تجيز إسقاطهم. فقد قام القاضي ابن سهل بإخبار ابن تاشفين بانقسام

جيش إمارة غرناطة وانهيار معنوياته، وترحيب سكن الإمارة بابن تاشفين لتخليصهم من حاكمها (ابن بلقين، ١٩٥٥م، ص١٤٦). كما أن الفقيه أبا جعفر بن القليعي قام بتحريض ابن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف (ابن بلقين، ١٩٥٥م، ص١١٨) إلى أن أبا بكر بن مسكن كان أكثر العلماء تحريضا لابن تاشفين للقضاء على ملوك الطوائف عامة (ابن بلقين، ١٩٥٥م، ص١٢٨). وقد ذكر ابن الخطيب هذا التحريض على ملوك الطوائف عموما بقوله: "... وداخله الناس في شأنهم، ودست إليه السعايات بهم، فأعاد الجواز ثالثة سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، وشرع في خلعهم، فتم له ذلك..." (ابن الخطيب، ١٩٥٦م، ص٢٤٧). ويذكر أن ابن تاشفين قد أقسم على عدم الغدر بالمعتمد بن عباد وعدم خلعه إلا أن فقهاء أشبيلية وقضاتها وأعيانها قالوا له:"... هؤلاء الرؤساء لا تحل طاعتهم، ولا تجوز إمارتهم، إنهم فساق فجرة، فاخلعهم عنا، فقال لهم: وكيف يجوز لي ذلك وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم؟، فقالوا له: إن كانوا عاهدوك فها هم قد ناقضوك، وأرسلوا إلى الفنش أن يكونوا معه عليك، حتى يوقعوك بين يديه، ويعود أمرهم إليه، فبادرهم بخلعهم بجمعهم، ونحن بين بيدي الله المحاسبون، فإن أذنبنا فنحن لا أنت المعاقبون، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم، أعادوا بقية بلاد المسلمين إلى الروم، وكنت أنت المحاسب بين يدي الله تعالى" (ابن الكردبوس،١٩٧١ م، ص١٠٦-١٠٧). وقد أفتى أبو بكر الطرطوشي بجواز تنحية ملوك الطوائف عن حكمهم (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج٦، ص٢٤٩) وسانده في ذلك علماء المشرق وعلى رأسهم الإمام الغزالي، الذي أفتى بضرورة تنحية ملوك الطوائف، ورأى " أن الإبقاء عليهم لا يتوصل معه إلى واجب الجهاد" (عبد اللطيف، ١٩٨٨م، ص٢٠٠).

ويتبين من هذا المبحث، أنه بعد المعاناة التي عاشها أهل الأندلس وفق الله بعض العلماء مع بعض الملوك لدعوة المرابطين إلى الأندلس لإنقاذها من الخطر النصراني خاصة بعد سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ. كما يظهر لنا، تقدير الأندلسيون للعلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي.

وهذا يدعونا كمعلمين ومتعلمين تقدير العلماء وإجلالهم فهم ورثة الأنبياء الذين لهم المكانة العلية والصورة البهية والمنزلة الرفيعة في قلوب الناس، لم ينالوها بمناصب إدارية، أو رتب وظيفية، أو مراكز اجتماعية، وإنما بما وهبهم الله من فضل، وعلم، وقبول، بل إن بقاءهم وحياتهم خير للعباد والبلاد.

**المبحث الثاني: إنتاج العلماء المسلمين في الأندلس في القرن الخامس الهجري**

لقد كان العلم فريضة على كل أندلسي أميراً كان أو مأموراً، ومن ثمّ فإنّه لم يعتل عرش الأندلس، ولم يتول أمر ناحية منها في أيام التفتت إلا أمير أو ملك له مشاركة فعّالة في علوم زمانه الدينية والدنيوية. فقد كان العلم شرطاً لمركزهم، بل وضع الكثير منهم في مصاف العلماء الكبار الذين لهم مؤلفات أو يقيم العلماء لآرائهم وزناً، وذلك في كل ميدان وكان العلم منتشراً في الأندلس، وأصبحت الأندلس في مقدمة البلاد التي كان لها أثر رائع في حضارة العلوم، وكان الأندلسيون يسارعون في اكتساب المعارف والعلوم المختلفة، وكانت أهم العلوم التي يقبل عليها الأندلسيون الفقه، والحديث، وعلم الأصول، والقراءات، والنحو، وعلوم اللغة.

عندما زالت دولة الأمويين، وحدث الانقسام السياسي في الأندلس بقيام ملوك الطوائف، لاقت الحركة العلمية كل تشجيع ورعاية، وأصبح ملوك المسلمين في مدن طليطلة، وبطليوس، وبلنسية، ودانية، وألمرية، وغرناطة، وفي أشبيلية بشكل خاص "ملتقى الشعراء والأدباء والفنانين والعلماء والفلاسفة والأطباء. ورغم أنه كان عصر انحطاط سياسي، لكن ذلك لم يمنع تجددا في نتاج الفكر لا مثيل له (بروفنسال، ١٩٥٥م، ص٢٩-٣٠)، فبدأ ملوك الطوائف يقلّدون الخلفاء الأمويين في تعلقهم بالعلم والعلماء وتشجيع الكتاب والمؤلفين، واتخذ كل ملك منهم لنفسه بطانة من الشعراء يقرّبهم ويغدق عليهم ويرقيهم إلى منصب الوزارة؛ ليشيدوا باسمه وليمجدوا أفعاله ويخلدوا ذكره. فكان لملوك الأندلس غرام باصطفاء كبار العلماء للوزارة، يشرفون على الدولة ويديرون أمرها، ومنهم من برزوا في السياسة والإدارة وقيادة الجيوش

وكذلك في العلم والأدب، وكانوا يتشددون كثيراً في البحث عن أصولهم، والأغلب أنّهم كانوا من أصول عربية.

و " في القرنين الرابع والخامس زخرت الأندلس بنهضة علمية نافست فيها الشرق منافسة قوية في العلوم والآداب، وبدأت الشخصية الأندلسية، تبرز وتتجلى، وتتحدى الأعلام، وتكاد تزحمهم في ميادين العلوم والآداب" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩). فكان أولئك الملوك أو بعض منهم على الأصح حريصين على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء النابغين في شتى حقول المعرفة، بل وجدنا بعضهم يسعى جاهداً في اجتذاب ما لدى منافسيه من علماء وأدباء. وظاهرة المنافسة بين أولئك الملوك بيّنة واضحة، نلمسها من خلال دراستنا لسيرهم ومواقفهم تجاه أرباب العلم والمعرفة، بالإضافة لدراستنا لحياة كثير من العلماء والأدباء الذين وردوا على قصور أولئك الملوك وتفرقوا في تلك المراكز الحضارية حسب اعتقاد كل منهم بأفضلية بلاط على بلاط آخر من حيث التكريم والتشجيع. وكان المسلمون في إسبانيا " إذا فتحوا بلدا أو مدينة يبدأون بإنشاء مساجد ومدرسة، وكأنهم يقصدون بذلك أن نشر الدين والعلم معا، لازم لتهذيب الأمم، وأن تربية النفوس بالدين، كتربية العقول بالعلوم" (العكش، ١٤٠٦هـ ، ص ٥٠).

ويُقدّم عصر الطوائف إنتاجاً غزيراً وفيراً ومشرقاً ومبدعاً في مختلف الميادين، فهو زاخر بالمؤلفات الأمهات والأصول الضخمة التي وصلنا بعضها، وربما يكفي دلالة على غزارة إنتاج الأندلسيين ما قيل عن ابن حزم (توفي ٤٥٦هـ) بأن مؤلفاته بلغت أربعمائة مجلد (المقري، ١٩٩٥م، ج٣، ص ٢٠٦). ويؤكد (الدوميلي) أن العلوم والآداب ظلت مزدهرة مثمرة بعد سقوط خلافة قرطبة "بل قد نشطت عن ذي قبل، إذ كان قد تم تمهيد البيئة الصالحة وإعدادها فعلا، فاستكثر ملوك الطوائف في مختلف عواصمهم من مهاد الحضارة الخصبة، وضربوا مثلا جديدا لما يمكن أن يفعله الذكاء والتنافس" ( الدوميلي، ١٩٦٢م، ص ٣٤٦). ومما يروي عن الفقيه أبي مروان عبد الملك الطبني (٣٩٦-٤٥٦هـ) أنه " لما رجع إلى قرطبة جلس ليرى ما

احتقبه من العلم، فاجتمع إليه في المجلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة، وما له عندهم من الأثرة قال:

إني إذا حضرتني ألف محبرة يكتبن حدثني طوراً وأخبرني
نادت بعقوبتي الأقلام معلنــة هذي المفاخر لا قعبان من لبــن

مثل هذا الإقبال على التعليم سجله الشعر بطرق ومعاني مختلفة؛ فلقد روى الحميدي (صاحب جذوة المقتبس) أن عبد الملك بن إدريس الجزيري قال من قصيدة:

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر
فاسلك سبيل المقتنين له تسد إن السيادة تقنى بالدفتر

إلى أن يقول:

تسمو إلى ذي العلم أبصار الورى وتغض عن ذي الجهل لا بل تزدري
وبضمر الأقلام يبلغ أهلــــــها ما ليــس يبلغ بالعتاق الضمـــــر

(ابن الأبار ،١٩٦١م، ج٢، ص ٣٢٣).

وعن مجاهد العامري أن أمير دانية "صار في المعرفة نسيج وحده، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة" (ابن بسام، ١٩٧٩م، ج ١، ص٢٣). وأبو حفص عمر بن عبد الله الذهلي (توفي ٤٥٤هـ)، نهب له البربر ثمانية أحمال من الكتب عندما حاول إخراجها إلى مكان غير داره بالربض الغربي" (ابن بشكوال، ١٩٥٥، ج٢، ص٤٠٠). وفي ألمرية عاش أول عصر الطوائف الوزير أحمد بن عباس الذي جمع من الكتب " ما لم يكن عند ملك، حكى وراقه أنه قد حصلها قبل بسنة، فبلغت المجلدات في التحصيل أربعمائة ألف، وأما الدفاتر المخرومة فلم يقف على عددها لكثرتها" (ابن بسام، ١٩٧٨م، ج٢، ص٦٦٥).

وكان الملوك مسارعين في اجتذاب العلماء إلى عواصمهم، متنافسين في تقريب النابغين منهم، وكانوا يحيطونهم بضروب التكريم وألوان التشجيع المادي والمعنوي،

ولئن وصمهم التاريخ بالتخاذل والضعف السياسي والعسكري، فإنه أمين على حفظ مآثرهم العظيمة وآثارهم الكريمة في ميادين العلم والمعرفة والارتقاء بها قمة الازدهار وذروة التطوّر، وهو أمر تشهد بصحته وحقيقته كتب التاريخ والتراجم والسير. فهذا المعتصم بن صمادح (توفي ٤٨٤ هـ)" يعقد المجالس في قصرة للمذاكرة، ويجلس يوما في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث" (ابن الأبار، ١٩٦٣م، ص ٧٢-٧٣).

وفي بلاط المعتصم عاش ثلاثة من أشهر الشعراء هم أبو عبد الله بن الحداد، وابن عبادة، وابن الشهيد، وكان المظفر بن الأفطس ( ٤٣٦- ٤٥٣ أو٤٦٠ هـ) " جم المعرفة، محبا لأهل العلم، جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة" (المقري، ١٩٦٨م، ج٤، ص٣٥١)، وينقل المقري عن ابن بسام أن المظفر ألف كتاب التذكرة المشهور(بالمظفري) في خمسين مجلدا" يشتمل على فنون وعلوم، ومغاز وسير، ومثل وخبر "( المقري، ١٩٦٨م، ج٤، ص ٣٥١). وكان للمظفر مواسم و أيام يستقطب فيها أهل العلم والمعرفة في يابرة وشنترين ولبشونة، كما كان لولده عمر دور في التأليف شعرا ونثرا، أما في بلاط بني عبادة، فقد ازدحم فيه الشعراء أكثرمن غيرهم، فلقد كان المعتمد نفسه شاعرا، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب مالم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس (المراكشي، ١٩٨٣م، ص ١٥٨) ولم يتركه الشعراء حتى في منفاه، فالحصري الشاعر ألف له كتاب "المتحسن من الأشعار" وقدم له في طنجه (المقري، ١٩٦٨م، ج٥، ص٣٧٩).

مثل هذه الثقافة لدى الأمراء، كانت تثير نشاطا تعليميا في دوائر العلماء الذين يحيطون بهم، فهم مهتمون دائما بمستواهم العلمي حتى يظلوا جلساء نافعين وممتعين، وهم يبحثون عن الكتب ويؤلفونها؛ لتسد مثل تلك المستويات الثقافية لدى الأمراء في دانية والجزائر الشرقية، يلمع نجم مجاهد العامري ( توفي٤٤٦هـ )، وهو أحد موالي المنصور بن أبي عامر، وتصبح دانية في زمنه قبلة الناس في تعلم القراءات عن أبي عمرو الداني الذي" بلغ الغاية فيها، ووقفت عليه معرفتها، وانتهت

إلى روايته أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها"، ( ابن خلدون، ١٩٨٤م، ص ٧٨٣ ). و" كان أهالي الأندلس ( قبل ذلك) يتبعون القراءات الشرقية منذ الفتح الإسلامي، يأخذونها كما هي بدون أن يلقوا بالا إلى التعليقات والشروح الحديثة والدراسات العميقة" ( العكش، ١٤٠٦هـ، ص٩١).

وفي بلاط مجاهد العامري عاش أحد أئمة اللغة هو ابن سيده الذي ألف فيه أهم كتابين له في اللغة، وهما "المحكم" و "المخصص"، وأوى إليه ابن حزم، بعد أن حاربه فقهاء المالكية، واضطروه لترك قرطبة، بسبب مخالفتهم مذهبهم، فاستقر في ميورقة، وكان يحكمها آنذاك أحمد بن رشيق الكاتب، عامل مجاهد العامري عليها، والذي اشتهر بالعدل في سياسته وباشتغاله بالنقد والحديث، وجمع العلماء وإيثارهم" (ابن الأبار، ١٩٦٣م، ص١٢٨). وفي ميورقة وبعد موت ابن رشيق (٤٤٠هـ) تظاهر عليه (علي ابن حزم) الفقهاء، واستعانوا بأبي الوليد الباجي الذي عاد من الشرق في هذا العام، فناقش ابن حزم وانتصر عليه " (أبو زهرة، د.ت.، ص ٤٨). ويرى الكاتب (أبو زهرة) أن انتصار الباجي كان بقوة السلطان، ولم يكن بالحجة والبرهان. وهكذا فإن ثقافة الأمير الدينية (أعني الأمير مجاهدا)، كرست دانية مركزا هاما للدراسات الدينية، وما يتبعها من دراسات لغوية، وجاء بعده ابنه علي بن مجاهد فحذا حذوه. وفي دولة بني هود اشتهر المؤتمن بن المقتدر (توفي ٤٧٨هـ=١٠٨٥م)، فقد" كان قائما بالعلل الرياضية، وله فيها تآليف مثل: "الاستهلال" و"المناظر"، (ابن سعيد ،١٩٥٣م، ج ٢، ص ٤٣٧).

ويذكر الدوميلي أنه صنف كتابا في الرياضة سماه "الاستكمال" أراد به عمل تكملة لكتاب الأصول لأقليدس، ولكتاب المجسطي، وغير ذلك من الكتب المماثلة في الأهمية، وقد حظي هذا الكتاب بانتشار عظيم، ومن الغريب أنه لم يبق له أثر منه" (الدوميلي، ١٩٦٢م، ص ٢٢٧).

وأما الزهراوي ابن الحسن علي بن سليمان كان عالما بالعدد والهندسة معتنيا بعلم الطب وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان وهو المسمى بكتاب

الأركان (التغلبي، ١٩١٢م، ص٧٠). وتميز ابن الصفار أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك، وله مختصر على مذهب السند. وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ، وخرج من قرطبة بعد أن مضى صدر من الفتنة، واستقر بمدينة دانية قاعدة الأمير مجاهد العامري من ساحل البحر الأندلس الشرقي وتوفي بها رحمه الله (التغلبي، ١٩١٢م، ص٧٠)، وساق سلمة بن سعيد (توفي ٤٠٦هـ) شيخنا من المشرق ثمانية عشر جملاً مشدودةً من كتب، وسافر من استجه إلى المشرق، واتخذ مصر موئلا، واضطرب في المشرق سنين كثيرة جدا، يجمع الآفاق كتب العلم، فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح، نهض به إلى مصر ثم نزح بالجميع إلى الأندلس وكانت في كل فن من العلم، ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى الشرق (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص ٢١٩-٢٢٠). وبرز من أهل قرطبة الكرماني وهو ابن الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني أحد الراسخين في علم العدد والهندسة، وأدخل رسائل اخوان الصفا إلى الأندلس، وله عناية بالطب ومجربات فاضلة فيه ونفوذ، مشهور بالكي والقطع والشق، وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية ومحله من العلوم النظرية المحل الذي لا يجارى فيه عندنا في الأندلس توفي أبو الحكم سنة ٤٥٨هـ (التغلبي، ١٩١٢م، ص٧٠).

والمظفر بن الأفطس: (٤٣٦هـ-٤٥٣هـ) " كان جم المعرفة محبا لأهل العلم، جماعة الكتب، لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة" (المقري، ١٩٦٨م، ج٤، ص٣٥١). وعن مجاهد العامري أمير دانية "صار في المعرفة نسيج وحده، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة" (ابن بسام، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٣).

واشتهر ابن خلدون أبو مسلم عمرو بن أحمد الحضرمي (توفي ٤٤٩هـ) الذي كان من أشراف أهل إشبيليا في علوم الفلسفة والنجوم والطب. وتميز ابن برغوث محمد بن عمر بن محمد (توفي سنة٤٤٤هـ) بالعلوم الرياضية، مختصا منها بإيثار علم الأفلاك وهيئاتها، وحركات الكواكب وأرصادها، وكان له مع ذلك تحقق بعلم

النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق وإشراف حسن على سائر العلوم، وكان عفيفا حليما حسن السيرة معتدل الأخلاق طيب الذكر مرضي الأحوال (التغلبي،١٩١٢م، ص٧١). "وأما ابن شهر: فهو ابن الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني: كان بصيرا بالهندسة في النجوم، متقدما في اللغة والنحو والحديث والفقه، بليغا شاعرا متكلما، ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ، وولي القضاء آخر دولة العامري في سنة ٤٢٧ هـ وتوفي بمدينة قرطبة وهو باق٦٥ على القضاء سنة ٤٣٥هـ، وفي علم العدد والهندسة والنجوم عبدالله بن أحمد السرقسطي: كان نافذا، وقعد لتعليم ذلك في بلده له كتاب في إصلاح حركات الكواكب والتنبيه على خطأ المنجمين، وتوفي عبد الله بن أحمد هذا بمدينة بلنسة سنة ٤٤٨هـ " (التغلبي،١٩١٢م، ص٧٢).

ومما يدل على وفرة تأليف العلماء أن" أبو حفص عمر بن عبد الله الذهلي (توفي ٤٥٤هـ)، نهب له البربر ثمانية أحمال من الكتب عندما حاول إخراجها إلى مكان غير داره بالربض الغربي" (ابن بشكوال، ج٢، ١٩٥٥، ص٤٠٠).

وأبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الهرزي الاشبيلي (توفي بمصر سنة ٤٢٠ هـ) كان بصيرا بعلوم البرهان واللسان والمسائلة، وكان متفننا في ضروب المعارف صنعا لطيف اليد وهو لم يتمكن من سن الكهولة. ومحمد بن أحمد بن الليث: كان متحققاَ بعلم العدد، والهندسة، والنجوم، واللغة، والفقه، ذا مرؤة كاملة ونفس طيبة، توفي وهو متقلداَ القضاء بشربون من أعمال بلنسية سنة ٤٠٥ هـ. وابن حي الحسن بن محمد بن الحسين بن حي التجيبي: من أهل قرطبة، كان بصيراَ بالهندسة والنجوم وله فيها مختصر على مذهب السند وقد خرج من الأندلس سنة ٤٤٢ هـ. وابن الجلاب الحسن بن عبد الرحمن: أحد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركات النجوم، وله عناية بالمنطق والعلم الطبيعي، وهو في وقتنا الحاضر مستوطن مدينة ألمرية (التغلبي، ١٩١٢م، ص٧٣).

ومن أشهر علماء اللغة أبو الحسن علي بن سيده (توفي سنة ٤٥٦هـ): العلامة اللغوي الأعمى الذي كان آية في الحفظ وقوة الذاكرة، وعاش بدانية في كنف أميرها العالم مجاهد العامري وانقطع إليه، ولما توفي مجاهد غادر دانية إلى بعض الأنحاء المجاورة، واشتهر ابن سيده بكتابه " المحكم" وهو قاموس لغوي ضخم وكتاب " السمار" (عيسى، ١٩٨٢م، ص ٤٣٣) .

ويبرز أبو جعفر أحمد بن حميس بن عامر بن منيح: من أهل طليطلة وأحد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب، وله مشاركة في علوم اللسان، واستوطن طليطلة وتأدب فيها، وبرع في علوم العدد والهندسة والفرائض، وقعد للتعليم لذلك زمنا طويلا، وكان له بصر بعلم هيئة الأفلاك وحركات النجوم وكان له مع ذلك نقود في العربية، وقد أدب بها زمانا بطليطلة وتوفي رحمه الله ليلة الأربعاء لثلث بقين من رجب سنة ٤٥٤هـ. وأبرع في الهندسة علي بن أحمر العيدلاني وأبو جعفر أحمد بن جوشن. وأعلمهم بحركات النجوم والأفلاك أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال فإنه أبصر أهل زماننا (التغلبي،١٩١٢م، ص٧٤).

وأبو عبيدة البكري، العلامة اللغوي الجغرافي، الذي اشتهر بمعجمه اللغوي الجغرافي المسمى (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) وهو مؤلف انتفع به الملك الفونسو العالم في تاريخه العام. أبو إسحاق ابن أهيم بن يحيى الزرقالي القرطبي: أصله من طليطلة، توفي سنة ٤٨٠هـ، من كتاب الرياضيين والفلكيين، صاحب الجداول الفلكية الشهيرة، وقد ذاعت جداوله ذيوعا عظيما وكانت أصح من غيرها من الجداول القديمة ( عيسى، ١٩٨٢م، ص ٤٣٤).
ويقول التغلبي عن ابن حزم: "وممن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلسفة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي؛ مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي، أصل آبائه من قرية منت نشيم من أقليم الزاوية من عمل أوله من كورة لبلة من غرب الأندلس، وسكن هو وآباؤه قرطبة، ونالوا فيها جاها عريضا، فكان أبوه

أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر، ووزر لابنه المظفر بعده وكانا المدبرين لأبي محمد، وزيرا لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله" (التغلبي، ١٩١٢م، ص٧٦)، وهذا يدلنا على أن عائلة ابن حزم كانت مقربة من حكام الأندلس، فقد تولى بعضهم الوزارات، "ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فعني بعلم المنطق، وألف فيه كتابا سماه (التقريب لحدود المنطق) بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف، واستعمل فيه مثلا فقهية وجوامع شرعية، وخالف أرسطاطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة، كما لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتابه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة؛ حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنف في المصنفات كثيرة العدد شريفة المقصد معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله، وطريقة، الذي يسلكه وهو مذهب داوود بن علي بن خلف الأصبهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل"( التغلبي،١٩١٢م، ص٧٦).

ويقول التغلبي: "ولقد اخبرني ابنه الفضل المكنى أبا رافع: أن مبلغ مؤلفاته في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل، وغير ذلك من التاريخ والنسب، وكتب الأدب والرد على المعارضين نحو ٤٠٠ مجلد تشمل على قريب من ٨٠٠٠٠ ورقة، وهذا شيء ما علمناه في أحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر بن جرير الطبري فإنه أكثر لأهل الإسلام تأليفا: ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الفرغاني في كتابه في التارخ المعروف بـ (الصلة) وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير" (التغلبي،١٩١٢م، ص٧٦). وكان أبو القاسم أصبغ بن السمح الغرناطي المتوفي سنة ٤٣٨هـ، بارعا في الهندسة والفلك، وله كتب قيمة في الهندسة. وأبو الوليد هشام الوقشي، أبرع علماء عصره في الهندسة والفلسفة واللغة، وتلميذه أبو القاسم سعيد بن أحمد الطليطلي صاحب كتاب (طبقات الأمم) وهو تاريخ

للعلوم. والمقتدر بن هود، كان وولده المؤتمن من العلماء المبرزين في الفلسفة والرياضيات والفلك، وكتب المؤتمن رسالته (الاستكمال) في الرياضيات وأثارت بحوث هذين الأميرين إعجاب الدوائر العلمية في القرون الوسطى (عيسى،١٩٨٢م، ص ٤٣٥).

أبو مروان حيان بن خلف بن حيان: ولد بقرطبة سنة ٣٧٧هـ وتوفي بها سنة ٤٦٩هـ، كان أبوه خلف من وزراء المنصور بن أبي عامر، وبرع ابن حيان في الأدب والرواية، وعند قيام دول الطوائف تولى وزارة بني جهور، وشهد سقوط دولتهم، وخصص لها كتابا من كتبه، وصقلت هذه الأحداث المثيرة قلمه وأمدته بكثير من الملاحظات النقدية القوية، وأعظم آثار ابن حيان كتابه (المقتبس في تاريخ رجال الأندلس) أو (المقتبس في أخبار أهل الأندلس) وهو تاريخ ضخم للأندلس حتى عصره أي عصر الطوائف، وقد انتهت إلينا من عدة قطع مخطوطة. (عيسى،١٩٨٢م، ص ٤٣٨).

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأعمى: وكان أبوه أيضا أعمى عني بعلوم المنطق عناية كبيرة و ألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس، وهو بعد هذا أعلم أهل الأندلس قاطبة بالنحو واللغة والأشعار، وأحفظهم لذلك؛ حتى أنه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها كـ(غريب المصنف) و(إصلاح المنطق)، وله في اللغة تواليف جليلة منها كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) مرتب على حروف المعجم، ومنها كتاب (المخصص) مرتب على الأبواب كغريب المصنف ومنها (شرح إصلاح المنطق وشرح كتاب الحماسة) وغير ذلك، وتوفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ وقد بلغ ٦٠ سنة أو نحوها. (التغلبي،١٩١٢م، ص٧٧).

أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكناني: وكان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته، وخدم به المنصور محمد بن أبي عامر و ابنه المظفر، ثم انتقل في صدر الفتنة إلى مدينة سرقسطة واستوطنها، وكان بصيرا بالطب متقدما

فيه، ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة، أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي "أنه كان دقيق الذهن ذكي الخاطر جيد الفهم حسن التوليد والتنتيج، وكان ذا ثروة وغني واسع وتوفي قريبا من سنة ٤٢٠ هـ وقد قارب ٨٠ سنة" (التغلبي،١٩١٢م، ص٨٢).

ومن أهل طليطلة أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغويش: رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم العدد والهندسة، وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظائرهم علم الطب ثم انصر ف إلى طليطلة، وتوفي عند صلاة الصبح يوم الثلاثاء في أول يوم من رجب سنة ٤٤٤هـ. (التغلبي،١٩١٢م، ص٨٣).

ويقول صاعد: إن أبا محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي أحد المعتنين بصناعة الطب، ومطالعة كتب الفلاسفة من غير تحقق بها، وكان كلفا بصناعة الكيمياء مجتهدا في طلبها، وتوفي ببلنسية في جمادى الآخرة سنة ٤٥٦هـ، وشاهدت دفنه هناك رحمه الله تعالى. (التغلبي،١٩١٢م، ص٨٥).

**أشهر العلماء:**

برز في الأندلس الكثير من العلماء المبدعين الذين ملؤا الدنيا صيتا وبلغت شهرتهم الآفاق، ومنهم:

**١ - ابن حزم:**

"أبو محمد علي بن حزم، كان آية عصره في نضوج الذهن ودقة البحث وعمق التفكير، ولد بقرطبة سنة ٣٨٣هـ كان أبوه أحمد بن حزم من وزراء المنصور، وقضى ابن حزم حداثته أيام الفتنة بقرطبة، وكان يؤيد قضية الخلافة الأموية، برع ابن حزم في الفقه والعلوم الدينية والشرعية، وأصول المذاهب والنحل، وفي المنطق والفلسفة واللغة، والمعرفة بالسير والأخبار، وتولى الوزارة في شبابه للخليفة

المستظهر الأموي ثم نزح إلى شاطبة، وهناك كتب كتابه (طوق الحمامة) وهو دراسة نفسية تحليلية بديعة للحب بواعثه وأشكاله " (عيسى، ١٩٨٢م، ص ٤٣١).

وكتب ابن حزم بعد ذلك عشرات من الكتب والرسائل في مختلف الموضوعات الفقهية والفلسفية والتاريخية منها: كتاب (الإحكام لأصول الأحكام) وكتاب (في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه)، وكتاب (في مراتب العلوم وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل) ومنها كتاب (جوامع السيرة) وهو عرض لسيرة الرسول وغزواته، وذكر أصحابه ومن روى عنه، وذكر نبذا من فتوح الإسلام بعد الرسول " وجمهرة أنساب العرب"، وهو وثيقة جامعة لأصول القبائل العربية وأنسابها ومن نزل منها بالأندلس و "نقط العروس" وهو يتضمن سلسة من النوادر والحوادث والمقارنات والنظائر التاريخي (عيسى، ١٩٨٢م، ص٤٣١).

وربما يكفي دلالة على غزارة إنتاج الأندلسيين ما قيل عن ابن حزم (توفي ٤٥٦هـ) بأن مؤلفاته بلغت أربعمائة مجلد (المقري، ١٩٦٨م، ج٣، ص ٢٠٦).

وقد عاش ابن حزم في عصر فياض بالاضطرابات والأحداث المثيرة، هو عصر انحلال الخلافة الأندلسية. بيد أن ابن حزم يشتهر بكتابه الجامع (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ويشيد البحث الحديث لابن حزم روعة علمه وتفكيره، ويخصص له العلامة الأسباني آسين بلاثيوس كتابا يتناول فيه حياته وكتابه (الفصل)، ويعتبره "مفكرا وعالما لاهوتيا، ومؤرخا ناقدا للأديان والمدارس الفلسفية الدينية، ويعتبره الأستاذ نيكل " أديبا وشاعرا وفقيها، ومؤرخا سياسيا وعالما أخلاقيا" وكان ابن حزم بالأخص داعية من أشد دعاة المذهب الظاهري، وقضى ابن حزم حياة فكرية عميقة خصبة، وأثار في الوقت نفسه بآرائه ونظرياته الأصولية والدينية من حوله خصومات كثيرة، واتهمه البعض بالمروق والزندقة، وأحرقت كتبه في أشبيلية بأمر المعتضد بن عباد ونزح في أواخر حياته إلى دار أسرته بقرية منت ليشم من أعمال لبلة وهناك توفي في شعبان سنة ٤٥٦هـ (عيسى، ١٩٨٢م، ص ٤٣١).

**٢- أبو الوليد الباجي:**

أبو الوليد الباجي، هو سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب التجيبي الباجي، ولد في مدينة بطليوس غربي الأندلس سنة( ٤٠٣هـ-٤٧٤ هـ) ودرس في قرطبة، ثم سافر إلى المشرق ودرس حينا بمكة ثم في بغداد فلما عاد إلى الأندلس عاش حينا في بلاط ميورقة، وحينا آخر في كنف المقتدر ابن هود، واشتهر بردوده على ابن حزم وكان قرينه في غزارة العلم وسعة المعرفة، وقد وصف بأنه من أئمة المسلمين وتوفي سنة ٤٧٤هـ. ومن شعره :

إذا كنت أعلم علما يقينا بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنينا بها وأجعلها في صلاح وطاعة

( عيسى، ١٩٨٢م، ص٤٣٣).

ومما ورد عن أبي الوليد الباجي أنه " زار الحجاز وأقام بها ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى بغداد، وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويسمع الحديث عن أئمتها، وزار الشام ومصر والموصل، وظل بالمشرق ثلاثة عشر عاما يسمع منه، وحاز الرئاسة بالأندلس" ( عياض، ١٩٨٨م، ج٤، ص٨٠٣).

**٣- ابن عبد البر:**

وفي القرن الخامس الهجري عرفت الأندلس طائفة من المحدثين، منهم أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ، المتوفى ٤٦٣ هـ قال الذهبي: الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. مولده في سنة ثمان وستين وثلاث مئة، طلب العلم بعد التسعين وثلاث مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنَّف، ووثق وضعَّف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان ( ابن خلكان، ١٩٧٧م، ج٧، ص٦٦ - ٧٢ ). وقضى شطرا من حياته

في دانية، وبلنسية وشاطبة، ثم لحق أخيرا ببلاط بني الأفطس ببطليوس، وعينه المظفر ابن الأفطس قاضيا للشبونة، ثم شنترين، كان من أوفر كتاب عصره علما ومعرفة، وأشهر مؤلفاته كتاب(جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله) وكتاب (المغازي) وكتاب (قصد الأمم في نسب العرب والعجم) وكتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) وكتاب (بهجة الجالس وأنس المجالس) ويمتاز شعره بالرصانة والأنفة (ابن خلكان، ١٩٧٧م، ج٧، ص ٧٣).

**٤- الزهراوي:**

وأنجبت الأندلس أشهر جراح عربي هو أبو القاسم الزهراوي سنة( ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) فكان طبيباً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، وله تصانيف في الطب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بـ (الزهراوي) ومن مؤلفاته الأخرى كتاب (التصريف)(ابن أبي أصيبعة، ١٩٦٥م، ص ٥٠١). ويذكر الدوميلي أنه أشهر أطباء الأندلس، وأعظم أطباء المسلمين أيضاً.. وكان أعظم الجراحين. وكتابه (التصريف) عبارة عن دائرة معارف طبية كبيرة، ويمكن أن يميز وفي هذا الكتاب قسم في الطب وقسم في الصيدلة وقسم في الجراحة طبع في ثلاثة أجزاء حصلت على أعلى درجات التقدير في أوربا (الدوميلي، ١٩٦٢م، ص٣٥٣) وترجم إلى العبرية واللاتينية والانكليزية، وأعيد طبع النص العربي في الهند سنة (١٩٠٨م ) (نجيب،١٩٧٧م، ص٥٧).. والزهراوي أول من ربط الشرايين، واستأصل حصى المثانة في النساء عن طريق المهبل، وأول من أوقف النزيف ونجح في عملية شق القصبة الهوائية، وبحث في التهاب المفاصل، واكتشف آلة لتوسيع باب الرحم للعمليات ولقب بـ (أبو الجراحة) (الدوميلي، ١٩٦٢م، ص٥٨ ).

من خلال هذا العرض، يتضح لنا غزارة إنتاج الأندلسيين العلمي والأدبي مما يدل على انشغال العلماء بالتأليف والإقبال بشغف على طلب العلم، ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم.

وأرى أنه يجدر بالمعلمين التأكيد على تلاميذهم بطلب العلم لذاته وليس لأي شيء آخر، وليعلموا أن إخلاص النية في طلب العلم يأتي بخيري الدنيا والآخرة، فقد روى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من كانت همه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له" (صحيح الجامع، رقم ٦٥١٦).

# مؤسسات التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

ويشتمل على عدة مباحث هي:

المبحث الأول: المساجد.

المبحث الثاني: القصور.

المبحث الثالث: البيوت الخاصة.

المبحث الرابع: المكتب (الكتاب).

# الفصل الرابع

## مؤسسات التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

يمكن توزيع التعليم في الأندلس من ناحية المكان بين المنزل، والمكتب، والمسجد، فالتعليم الذي يتلقاه الطفل في سنين عمره الأولى يتعلمها الطفل في المنزل ثم في المسجد ومن ثم في المكتب.

### المبحث الأول: المساجد

" المسجد هو الانطلاقة العلمية الأولى في حياة المسلم، بما يُعْقد فيه من حِلَق العلم، يحضرها عموم الناس، فيتلقى المسلم العلوم النافعة.." (الحازمي، ٢٠٠١م، ص٣٠١)، وبهذا تعم الفائدة لعموم المسلمين، ولطلبة العلم خاصة "اتخذ المسلمون الأوائل المسجد مكاناً لمنتدياتهم العلمية، والأدبية، والسياسية، واجتماعات مجالس الشورى، وتبادل الرأي فيما يهم المسلمين حرباً وسلماً" ( محمد، ١٤٠٢هـ، ص٣). وفي المجال التربوي نجد المسجد ميدانًا توجيهيًا تربويًا، والدليل على هذا أن رجلاً دخل المسجد، وجلس قبل تحية المسجد –والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب- قال: (أصليت يا فلان ؟ قال: لا، قال: قم فاركع ركعتين ) (رواه البخاري، الحديث رقم ٩٣٠ ). فهو ميدان توجيهي تعليمي، كما بين الحديث، وكذا فإن الخطبة في المسجد تعليم بحد ذاتها، إذ لو كانت خارجة عنه لما جاز الخروج عنها، فدل على أنها منه وكان المسجد في عهوده الأولى " مركزاً تربوياً، يربى فيه الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية" (النحلاوي، ١٩٨٦م، ص١٣٢) التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم وقعّدها، وحدد حدودها، فعن أبي رفاعة رضي الله عنه، قال:( انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن

دينه لا يدري ما دينه؟ قال: فأقبل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها ) (رواه مسلم، الحديث رقم ٨٧٦).

وكانت المساجد بمثابة المدارس تعقد فيها حلقات الدروس. وكان الإقبال على هذه الحلقات يشمل بعض النساء في قرطبة العاصمة، وفي سواها، فيقصدن إليها متنقبات محتشمات. وقد أدّى ذلك إلى ظهور عدد من النساء المتأدبات، العارفات بأصول الدين معرفتهنّ بفنون الأدب. وكان عددهنّ يزداد تبعاً لازدياد اهتمام الخلفاء المتعاقبين بالعلوم والآداب. (بعيون،http://souhabaayoun.net ).

وكان المسلمون في إسبانيا إذا فتحوا بلدا أو مدينة يبدأون بإنشاء مساجد لنشر الدين والعلم معا، لأن تربية النفوس بالدين، كتربية العقول بالعلوم (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ٤٩).

ومما يروي عن الفقيه أبي مروان عبد الملك الطبني (٣٩٦-٤٥٦هـ) أنه " لما رجع إلى قرطبة جلس ليرى ما احتقبه من العلم، اجتمع إليه في المجلس خلق عظيم (ابن الأبار، ١٩٦١م، ج٢، ص ٣٢٣).

وطلب الخلفاء من العلماء اتخاذ المساجد لنشر العلم ومن ذلك قول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- :"أما بعد، فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم، فإن السنة كانت قد أميتت" (الرامهرمزي، ١٤١٤هـ ، ص٦٠٣).

ولهذه الأسباب وغيرها اندفع العلماء للمساجد فازدهرت بهم، وسطع نورها إلى المجتمع، بل إلى الأمة، وكان المعلم يجلس إلى جوار عمود من أعمدة المسجد، أو في صدر المكان الذي اتخذه لتعليم طلبته، ويطلق على المكان اسم المعلم الذي

يشغله، وخاصة إذا ما استمر فيه مدة طويلة. وبعد وفاة المعلم، يقوم بشغل المكان ابنه، أو أحد طلبته النبهاء. ومما يدل على ذلك أن أبا قاسم بن إمام القاضي أبي الوليد الباجي المتوفى ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م، قد سكن سرقسطة وغيرها، وروى عن أبيه معظم علمه، وخلفه في حلقته بعد وفاته (المقري، ١٩٦٨م ،ج٣، ص٤٠١ )، وأحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، توفي بعد عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، والذي تصدر لتدريس ما كان عنده من فنون المعارف بعد جده (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص٤٥٠-٤٥١). أما عدد الطلبة في كل حلقة فلم يكن هناك تحديد لذلك، واختلف الرقم حسب سمعة الأستاذ، وحسب المادة التي يقوم بتدريسها، وحسب المكان التي توجد فيه الحلقة، فعبد الملك بن زيادة الله الضبي (توفى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) حينما رجع إلى قرطبة، وجلس ليروي ما اقترحه من العلوم، اجتمع إليه في مجلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة، وماله عندهم من الأثرة قال:

انى إذا حضرتني ألف محبرة        يكتبن حدثني طورا وأخبرني
نادت بمفخرتي الأقلام معلنة        هذي المفاخر لا قبعان من لبن

(الحميدي، د. ت.، ص٢٦٥).

وفي قرطبة كان عدد المساجد كبيرا، وكانت رحلة العلماء إليها. ونستطيع من خلال ما وصلنا من النصوص أن نشير إلى عدد لا بأس به من مساجدها، كانت ملتقى طلاب العلم وشيوخه، من داخل الأندلس وخارجها، من بلاد المسلمين وغير المسلمين.

وفي جامع قرطبة هذا، أقرأ وعلم وتعلم أجيال من الناس، منهم على سبيل المثال عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٤٤٠هـ (ابن بشكوال، ١٩٥٥ م، ج٢، ص ٣٣٣). وأحمد بن أيوب بن أبي الربيع الألبيري المتوفى سنة ٤٣٢ هـ "

جلس بالمسجد الجامع بقرطبة ... وكان الناس يبكرون إليه ويزدحمون عليه" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص ٥٣). وكان أبو محمد بن أبي طالب المتوفى٤٣٧هـ / ١٠٤٥م قد دخل قرطبة أيام المظفر أبي عامر ولا يؤدبه بذكره إلى أن نوه بمكانه ابن ذكوان القاضي، وأجلسه في الجامع فنشر علمه(ابن بشكوال، ١٩٥٥م ، ج٢، ص٥٩٧). وخلف المقري، من ساكني طلبيرة، توفي بعد عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، كان يسكن المسجد، ويقرأ عليه، وكان يحاول عجن خبزه بيده والإنفاق على هذه المساجد والمحافظة عليها كان يتم إما من بيت مال المسلمين مباشرة أو من الأحباس الموقوفة على هذه المساجد (ابن بشكوال، ١٩٥٥م،ج١، ص١٦٣). وعني أحمد بن محمد بن عفيف (٣٤٠-٤٢٠هـ) بالفقه وعقد الوثائق والشروط، ثم شارك في كثير من العلوم، فكان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة، ويعلم القرآن، وكان يقصده أهل الصلاح والتوبة والإنابة، فيلوذون به، يعظهم ويذكرهم (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٦١). وكان عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي (سكن قرطبة وتوفي نحو ٥٤٠هـ) " يؤم لمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة، ويجلس يوما في كل جمعة يعظ الناس" (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٤٨٦).

وفي أشبيلية نزل أبو بكر بن طلحة اليابري، (عاش أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجري) " وكان الغالب عليه جمع القصص، فيسرد منها جملا على العامة، وكان متكلما رد على أبي محمد بن حزم، وكان أحد الأئمة بجامع العديس" (المقري، ١٩٤٩م، ج٣، ص٤٠٣). واتصل نشاط المعتضد بالمعلمين، فقد عين فرج بن حديد المقرئ بالمسجد المنسوب إلى والدته في أشبيلية ليعلم القراءات (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص١٦٢)، وكان الراضي بن المعتمد "من أهل العلم والأدب، كلف بالمطالعة والدراسة... أشرف على مذهب أبي محمد بن حزم الظاهري، فمهر في الأصول، وذهب إلى النظر والاختيار... وكان عالي الهمة، عالما بالشرعيات، واقفا على الطبيعيات ذاكرا للعرب وأنسابها، حافظا للغاتها وآدابها" (ابن الأبار، ١٩٦٣ م، ج٢، ص٧١). ومحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عياض المخزومي (من أهل

شاطبة وتوفي ٥٠٦هـ) كان عالما بتفسير القرآن يقعد لذلك في كل يوم جمعة" (ابن الأبار، ١٩٥٦م ،ج١، ص ٤٢٠).

أما عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن (من أهل قرطبة وتوفي ٥٣١ هـ) فكان "صابرا على العقود للناس، مواظبا على الاستماع، يجلس لهم يومه كله، وبين العشائين، وطال عمره وسمع منه الآباء والأبناء، والكبار والصغار" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٣٤٩)، وعامر بن إبراهيم بن عامر بن عمروس الحجري (من أهل قرطبة، وسكن طليطلة ومات بعد ٤٣٣هـ) " كان يجلس في مسجده للرواية غدوة، ويتصرف في معاشه داخل نهاره، ثم ينصرف إلى مسجده عشاء، فربما قرئ عليه وإلا كتب" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٤٤٢).

مثل هذه الثقافة لدى الأمراء، كانت تثير نشاطا تعليميا في دوائر العلماء الذين يحيطون بهم، فهم مهتمون دائما بمستواهم العلمي؛ حتى يظلوا جلساء نافعين وممتعين، وهم يبحثون عن الكتب ويؤلفونها لتسد مثل تلك المستويات الثقافية لدى الأمراء.

و في دانية والجزائر الشرقية، يلمع نجم مجاهد العامري (توفي ٤٤٦هـ)، وهو أحد موالي المنصور بن أبي عامر، وتصبح دانية في زمنه قبلة الناس في تعلم القراءات عن أبي عمرو الداني الذي " بلغ الغاية فيها، ووقفت عليه معرفتها، وانتهت إلى روايته أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعول الناس عليها، وعدلوا عن غيرها" ( ابن خلدون، ١٩٨٤م، ص٧٨٣). و" كان أهالي الأندلس (قبل ذلك) يتبعون القراءات الشرقية منذ الفتح الإسلامي، ويأخذونها كما هي بدون أن يلقوا بالا إلى التعليقات والشروح الحديثة والدراسات العميقة"، (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ٩١) وفي بلاطه عاش أحد أئمة اللغة و هو ابن سيده الذي ألف فيه أهم كتابين له في اللغة، وهما (المحكم) و(المخصص)، وأوى إليه ابن حزم، بعد أن حاربه فقهاء المالكية، واضطروه لترك قرطبة، بسبب مخالفتهم مذهبهم، فاستقر في ميورقة، وكان يحكمها

آنذاك أحمد بن رشيق الكاتب، عامل مجاهد العامري عليها، والذي اشتهر بالعدل في سياسته وباشتغاله بالنقد والحديث، وجمع العلماء وإيثارهم" (ابن الأبار، ١٩٦٣م ، ج٢، ص١٢٨). ومحمد بن يوسف بن محمد الأموي المتوفى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م كان من أهل الضبط، والإتقان، والمعرفة بما يقرأ، وكان معه نصيب وافر من علم العربية، وعلم العروض والحساب، وأقرأ الناس بقرطبة في مسجده، ثم خرج عنها في الفتنة واستوطن الثغر، وأقرأ الناس به دهرا، ثم انصرف إلى قرطبة (ابن الفرضي، ج٢، ص١٠٠). وكان أبو محمد بن أبي طالب المتوفى٤٣٧هـ / ١٠٤٥م قد دخل قرطبة أيام المظفر أبي عامر ولا يؤدبه بذكره إلى أن نوه بمكانه ابن ذكوان القاضي، وأجلسه في الجامع فنشر علمه(ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٥٩٧).

ومما سبق نستنتج انتشار المساجد في الأندلس انتشارا كبيرا فقام الأمراء ببناء المساجد الجامعة في كل مدينة، وهذا يدل على كثرة انتشار مراكز التعليم في الأندلس، وأن المسجد من أقدم معاهد التعليم إنشاءً في العالم الإسلامي، وقد انتشر بانتشار الإسلام نفسه، فدل على أهميته التعليمية، وحاجة الأمة الإسلامية إليه، والتعليم في المسجد يجعل قلوب الطلاب تتعلق به، فيحصلون على ثواب الدنيا والآخرة.

**المبحث الثاني: القصور**

ونعني بها قصور الحكام والأمراء، وقصور ذوي الثراء، وكانت الأندلس وحواضرها في عهد ملوك الطوائف مركزاً للعلم والمعرفة. فقرطبة، وإشبيلية، وألمرية، وطليطلة، وبطليوس، وبلنسية، وغيرها عاشت عواصم ثقافية، ضمت العلماء والمعاهد، كما كانت هي وعموم مدن الأندلس مليئة بالمكتبات الخاصة والعامة، وكانت لعديد من الأمراء مكتبات ضخمة، وعنايتهم بها كبيرة. وغدت

قصورهم منتديات أدبية، ومجامع حقة للعلوم والفنون، ولقد كانت هذه القصور أكبر مبعث لهذه النهضة وكان المعتصم بن صمادح (توفي ٤٨٤هـ) "يعقد المجالس في قصره للمذاكرة، ويجلس يوميا في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث" (ابن الأبار، ١٩٦٣م، ج٢، ص٨٢-٨٣)، وفي بلاط دانية عرف أبو العباس الجريري الذي أدب جعفر أحمد بن أبي عامر ابن غرسية الكاتب، وبشار الأعمى النحوي الذي أدب الوزير ابن عباس (ابن الأبار ، ١٩٥٦م، ج١، ص ٢٣٠).

وفي بلاط المعتصم عاش ثلاثة من أشهر الشعراء هم أبو عبد الله بن الحداد وابن عبادة وابن الشهيد، وكان المظفر بن الأفطس (٤٣٦-٤٥٣أو٤٦٠هـ) "جم المعرفة، محبا لأهل العلم، جمّاعة للكتب ذا خزينة عظيمة" (المقري، ١٩٦٨م، ج ٤، ص ٣٥١)، وينقل المقري، عن ابن بسام أن المظفر ألف كتاب التذكرة المشهور (بالمظفري) في خمسين مجلدا "يشتمل على فنون وعلوم، ومغاز وسير، ومثل وخبر"(المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٢٨)، وكان للمظفر مواسم وأيام يستقطب فيها أهل العلم والمعرفة في يابرة، وشنترين، ولشبونة. كما كان لولده عمر دور في التأليف شعرا ونثرا.

أما في بلاط بني عباد، فقد ازدحم فيه الشعراء أكثر من غيرهم، فلقد كان المعتمد نفسه شاعرا، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص١٥٨)، ولم يتركه الشعراء حتى في منفاه، فالحصري الشاعر ألف له كتاب (المستحسن من الأشعار) وقدمه له في طنجة، (المقري، ١٩٦٨م، ج ٤، ص ٣٧٩)، وإلى أبيه المعتضد عباد، قدم الأعلم العالم النحوي شرحه لأبيات كتاب سيبويه، وفي مقدمته يقول المؤلف: "هذا كتاب أمر بتلخيصه وتهذيبه المعتضد ... عناية منه بالأدب وميلا إليه، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا عليه" (مطلق، ١٩٦٧م، ص ٢٦٠). واتصل نشاط المعتضد بالمعلمين، فقد عين فرج بن حديد المقرئ بالمسجد المنسوب إلى والدته في أشبيلية ليعلم القراءات

(ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص١٦٢)، وكان الراضي بن المعتمد " من أهل العلم والأدب، كلف بالمطالعة والدراسة... أشرف على مذهب أبي محمد بن حزم الظاهري، فمهر في الأصول، وذهب إلى النظر والاختيار... وكان عالي الهمة، عالما بالشرعيات، واقفا على الطبيعيات ذاكرا للعرب وأنسابها، حافظا للغاتها وآدابها" (ابن الأبار ، ١٩٦٣ م، ج٢، ص٧١).

ويتضح لنا أن قصور الأمراء من أهم البيئات التعليمية التي أسهمت في حركة التعليم، فكانت القصور الحقل التربوي والتعليمي لأبناء الأمراء وذوي الثراء، فظروفهم الاجتماعية جعلت القصور مؤسسة تعليمية خاصة بهم، وهذا يدل على حرص الأمراء، والخاصة على تعليم أبنائهم وتربيتهم على أيدي العلماء.

ومن هذا المنطلق أرى أنه على أولياء الأمور البحث لأبنائهم عن معلمين متميزون، وبذل الأموال لصلاح الأبناء دينياً ودنيوياً، فاستثمار الأموال في تربية وتعليم الأبناء أولى من أي شيء آخر.

**المبحث الثالث: البيوت الخاصة**

البيوت الخاصة ومنازل العلماء من أهم البيئات التعليمية التي أسهمت في حركة التعليم، فكانت المنازل الحقل التربوي والتعليمي، وخاصة لما يسمى في عرف التربية "بالدروس الخاصة"، وميزتها أنّ طلبتها غير الطلبة الذين يحضرون الدروس العامة في المساجد مثلاً، أو أن هناك ظروفا اجتماعية أو علمية جعلت المنازل مؤسسة تعليمية خاصة بهم، إضافة للبيئات الأخرى. ومما يبرهن على أنها مؤسسة تعليمية لها مكانتها أن النبي -صلى الله عليه وسلم- استخدم هذه المؤسسة في بدايات الإسلام ضمن ظروف اجتماعية معينة؛ فكان " الرسول -صلى الله عليه وسلم- يلتقي سراً بالداخلين في الإسلام؛ ليعلمهم ما ينزل من الوحي من تعاليم الدين" ( رزق الله، ١٤١٢هـ، ص١٩٥) فاتخذ دار الأرقم بن الأرقم -رضي الله عنه- مكاناً يعلم فيه أصحابه .

وإذا كان باستطاعة الأب والأم تغيير الفطرة السليمة التي يولد عليها الطفل، إلى فطرة منكوسة؛ دليل على قوة تأثير الأسرة على هذا الولد؛ كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه.." (رواه البخاري، الحديث رقم ١٢٩٢)، فإذا كان تأثيرهم في تغيير الفطرة ممكناً، فهذا دليل على أنها أداة فعالة في تنمية الفطرة السليمة واكتساب معالي الأخلاق، وتعلم خير العلوم عن طريق المحاكاة والتقليد والتلقين، فتتأكد الفطر السليمة، وتنمو الجوانب الثقافية، التي تغذيها الأسرة في أبنائها؛ فضلاً عن الجوانب الأخرى.

لهذه الأسباب وغيرها اهتمت التربية الإسلامية بالأسرة، وأولتها جلّ عنايتها، وأكدت على دور الأم والأب في تنشئة الطفل؛ فحثت التربية الإسلامية الأم على القيام بواجب مسؤولياتها تجاه أبنائها؛ " فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأخطر، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلا أن يترعرع، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب، ورجل الحياة (علوان، ١٩٨٥م، ج١، ص١٤٣). كما اعتبرت التربية الإسلامية " الأب في الجماعات الإنسانية عضواً متكاملاً في بناء الأسرة"( حسن، ١٩٧٨م ، ص٥ )، ومن الأب والأم تتشكل الأسرة، فتكون بذلك" الوعاء التربوي الذي تتشكل داخله شخصية الطفل تشكيلاً فردياً واجتماعياً، وهي بهذا تمارس عمليات تربوية هادفة لتحقيق نمو الفرد والمجتمع " (سرحان، ١٩٨١م، ص١٨١). ولهذا يلعب المنزل الدور الرئيس في تكوين الطفل عقليا واجتماعيا وثقافيا. والوالدان والأقارب يضعون بصمات في ثقافة أبنائهم وحبهم للعلم عامة وحب مادة أو مواد يعمل بها الوالدان أو الأقارب، بحكم ثقافتهم وعلمهم فيتركون في نفوس أبنائهم حب العلم عامة وحب مادة ما أو مواد يعمل بها الوالد أو الأقربون.

ولم تهمل كتب التراجم الإشارة إلى تأثير البيت في عدد كبير من الشخصيات العلمية والأدبية الأندلسية حيث يشار إليهم بأنهم من بيت علم فقيل عن أحمد بن محمد بن

علي قاضي الجماعة بقرطبة توفي ٥٢١هـ/١١٢٧م، أنه أخذ عن أبيه وتفقه عنده، وهو من بيئة علم ودين (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص ٧٨). وأحمد بن محمد بن أحمد ابن مخلد المتوفى ٥٣٢ هـ / ١١٣٧م، سمع من أبيه بعض ما عنده، وهو من بيت علم ونباهة وفضل وصيانة (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص ٧٩).

ولا شك أن الوالدين أو أهل المنزل قد حاولوا دائما، منذ الأعوام الأولى لطفلهم، تعليمه بعض الآيات القرآنية أو القراءة والكتابة أو الأعداد، وذلك قبل ذهابه إلى المكتب، أو قبل أن يبدأ معه معلمه تعليمه، سواء في منزل الصبي، أو في مكان تعليم المعلم. ولقد لعب الوالد دورا رئيسًا في هذه الناحية، وواصل دوره، بعد ذلك مع ابنه، في مراحل تعليمه التالية، حتى أننا يمكن لنا دون أدنى تردد اعتبار الوالد المعلم الأول في حياة طفله، سواء بطريقة مباشرة، أي بأن يتولى بنفسه تعليم صغيره أو بطريقة غير مباشرة؛ كأن يحثه على التعليم، ويساعده على ذلك. فأحمد بن يحيى ابن أحمد المعروف بابن الحذاء (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)، "روى عن أبيه أكثر رواياته، وندبه صغيرا في طلب العلم والسماع من الشيوخ الجلل في وقته، فحصل له بذلك سماع عال، أدرك به درجة أبيه" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص ٦٢). ويقول ابن الأبار عن نفسه، أنه قرأ القرآن على ولده، وسمع منه أخبارا وأشعارا، وأنه استظهر عليه مرارا أيام أخذه على الشيوخ، يمتحن بذلك حفظه (ابن الأبار، ١٩٦٣م ،ج١، ص١٥).

وقد اتخذ المنزل أحيانا كمكان لتعليم الأطفال، وإن كانت الإشارات إلى ذلك ليست كثيرة، ولكن يقال عن ابن حزم المعلم، أنه كان وابن محمد وابنته، تجمعهم في تعليمهم، دار واحدة (ابن الأبار، ١٩٦٣م ،ج١، ص ٣٤). وكان المعلم يقصد في داره، إما لشهرته، وإما لعلة ألزمته بيته، فلم تقف به عن ممارسة مهمته وتأدية رسالته، وبعضهم كان يقدم مختلف وسائل الراحة لطلابه الذين يقصدونه: فلقد روي عن أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري المتوفى سنة ٤٠٣هـ، على لسان أحد طلبته عبد الله بن سعيد بن أبي عون، أنه كان يأتي إليه من قلعة رباح وغيره من المشرق،

وكانوا نيفا على أربعين تلميذا، ثم يذكر كيف كان يهيء لهم الدفء وألوان الطعام إلى أن يقول: "فكان ذلك منه تكرما وجودا وفخرا لم يسبقه أحد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج ١، ص ٣٦).

نستنتج مما سبق أن البيوت كانت بيئة تعليمية خصبة لأبناء العلماء؛ فتخرج من أبنائهم علماء وأدباء وشعراء ذكوراً وإناثاً.

وأرى أهمية التربية والتعليم في المنزل، وعدم الاعتماد كليا على المدرسة، فعلى الوالدين تهيئة الظروف التعليمية المناسبة لأبنائهم وتوفير متطلبات التعلم، من تهيئة المكان، وتنظيم الوقت، وتوفير مكتبة منزلية، وقبل ذلك أخذ الدورات التربوية لاكتساب مهارات تربوية في تربية الأبناء لتطبيقها على أبنائهم لتعديل السلوكيات الخاطئة وتعزيز السلوكيات الإيجابية فيهم.

**المبحث الرابع : المكتب "الكتاب"**

الكتاتيب مأخوذة من "المَكتَبُ والكُتَّابُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ..والمَكْتَبُ موضع التعليم والمُكْتِبُ المُعَلِّم والكُتَّابُ الصِّبيان"(ابن منظور، د. ت. ، ص٦٩٨).

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال:" كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال : فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بذَحْلِ بدر! والله لا تأتيه أبداً" (الشيباني، د.ت.، ص٢٤٧). دلَّ هذا الأثر على وجود كتاتيب لتعليم الصبيان، وأن أولاد الأنصار–رحمهم الله – كانوا يذهبون للمعلم، وكان " هذا النوع من التعليم يجري في منازل المعلمين، وربما خصص هؤلاء حجرة في بيوتهم لاستقبال الطلاب "(شلبي، ١٩٧٨م، ص٤٨).

اشتهر عند السلف إرسال الصبيان عند بلوغهم سنّ التمييز إلى مؤدب يحفّظهم القرآن، ويشرف على تأديبهم وتربيتهم، وتعليمهم السمت، والهدي، والخلق الحسن،

فإذا بلغوا سنّ التكليف أحضرهم مجالس العلماء ليقتدوا بهم في السمت والهدي، والعبادة والعمل (الزهراني، ٢٠٠٥م، ص٢٥).. وظلت الكتاتيب منذ أن أنشئت قديماً مع ظهور الإسلام، نظاماً حراً يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم، وكانت في بعض العصور تُعَانُ من ذوي اليسار، أو من الأوقاف التي يحبسها أغنياء المسلمين ( الأهواني، د. ت. ، ص١٠-١١). ثم انتشرت الكتاتيب فيما بعد، وأخذت صفة الرسمية، وأصبحت معاهد مستقلة بذاتها، بعد أن كان "مكانها المسجد في الغالب" (عبد الدائم، ١٩٧٥م، ص١٤٦). فقال أحد الباحثين: "ويبدو أن المساجد اتخذت أول الأمر أماكن لتعليم الصبيان، ثم استقل المكتب بعد ذلك، بعيداً عن المسجد"(عبد العال، ١٩٧٨م ، ص ١٨٦). وقد " سئل الإمام مالك -رحمه الله- عن تعليم الصبيان في المسجد، فقال لا أرى ذلك يجوز،لأنهم لا يحتفظون عن النجاسة "( الأهواني، د.ت.، ص٣٢٣ ). وهكذا مرّ الكتّاب بمراحل متعددة، وإن الناظر لمسيرته التعليمية، يجلو واضحاً ما له من مكانة علمية، وأنه بيئة خصبة للتعلم والتعليم.

ظهر المكتب في الأندلس في فترة مبكرة من بعد الفتح العربي لشبه الجزيرة الأيبيرية، فبدأ بالكبار سنا بقصد تعليمهم الدين الجديد واللغة العربية، وأسس العرب في الأندلس الكتاتيب لتعليم الصبيان اللغة العربية وآدابها ومبادئ الدين الإسلامي، على غرار نظام الكتاتيب في المشرق العربي واتخذوا المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين اللغة العربية ومبادئ الإسلام (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٤٥).

وكان من الطبيعي أن تظهر المكاتب الخاصة بتعليم الأطفال بسرعة؛ لأنه إذا كان رجال الجيش قد تزوجوا من نساء أهل البلاد كما فعل عبد العزيز بن موسى بن نصير بزواجه من أرملة آخر ملوك القوط، وأن هذا الاختلاط قد أثر على الأجيال الجديدة. وإذا ما كانت السن معقولة لبدء التعليم، هي مابين الخامسة إلى السابعة؛ فإن

ذلك يقودنا حتما إلى القول بأن الاتجاه لتعليم الصبيان في الأندلس، قد بدأ خلال العقد الأول من الفتح، والمكتب: عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، وقد يكون غرفة في منزل، أو حانوتا يكترى، أو فناء، ولم يكن له مكان معين يقام فيه، ولقد كان عادة يقام بالقرب من المسجد وربما في داخله ولعل السبب في استخدام المساجد كمكان لتعليم الأطفال يرجع إلى أن كثيرا من خدمة المساجد كانوا يحترفون هذه المهنة، مما جعل من السهل عليهم ممارسة العملين في وقت واحد، حيث نجد أن أحمد ابن خلف الأموي (٤٩٩هـ/١١٠٥م)، من أهل قرطبة "كان معلم كتاب، وصاحب صلاة"(ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٧٥).

**طريقة التعليم في المكتب:**

كان من العادة أن يذهب الطفل إلى الكتاب مبكرا، حيث يظل هناك إلى منتصف النهار، ويعود الطفل إلى منزله للغذاء والراحة قليلا، بعد ذلك يتجه إلى الكتاب مرة ثانية لكي يبدأ الدراسة مرة ثانية من وسط النهار حتى بعد العصر بقليل فينصرف لمنزله على أن يعود في صباح اليوم التالي. وأسس العرب في الأندلس الكتاتيب لتعليم الصبيان اللغة العربية وآدابها ومبادئ الدين الإسلامي، على غرار نظام الكتاتيب في المشرق العربي واتخذوا المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين اللغة العربية ومبادئ الإسلام ( المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٤٥).

وطريقة التعليم في الكتاب تتلخص في أن المعلم يقوم بقراءة آية من آيات القرآن، ثم يقوم الطفل بترديدها حتى يحفظها، ثم ينتقل إلى آية أخرى وهكذا. وهناك بعض المعلمين ممن كانوا يلجأون إلى تعليم الأطفال السور القرآنية القصيرة أولا، وبعضهم كان يبدأ حسب ترتيب المصحف فيقول ابن مرشد" أول ما يبدأ به المؤدب في تعليم الصبي، تحذيقه كتابة الأحرف، وقراءتها حتى يألف ذلك، ثم يشرع في تحفيظه السور القصار من القرآن"(عيسى، ١٩٨٢م، ص٢٤٣).

يظهر أن الكتاتيب من أقدم وأهم بيئات التعليم، وحاجة الأمة إليها شديدة، فالطفل بحاجة ماسّة لتعليم القراءة والكتابة في سنوات تعليمه الأولى. وقد استبدلت الكتاتيب في عصرنا الحاضر بالتعليم النظامي في المدارس.

ومن خلال مباحث هذا الفصل يتضح لنا تعدد بيئات التعليم في الأندلس، وعدم اقتصارها على مكان بعينه مما يدل على اندفاع الأندلسيين إلى العلم وشغفهم في طلبه.

# الفصل الخامس

## أساليب التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

ويشتمل على عدة مباحث هي:

المبحث الأول: الإسماع والإملاء.

المبحث الثاني: الإقراء.

المبحث الثالث: المناقشة والحوار.

المبحث الرابع: المناظرة.

# الفصل الخامس

## أساليب التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

إن أساليب التعليم هي الوسيلة المثلى للوصول إلى الأهداف وتحقيق أفضل النتائج في أسرع وقت وأقل جهد وتكلفة، مما يجعل عملية التربية والتعليم سهلة وممتعة، والأهم أنها تكون مثمرة وبناءه.

**مفهوم أساليب التعليم:**

هناك معنيان للفظ (أساليب التعليم)، معنى ضيق: المقصود به توصيل المعلومات، ومعنى واسع شامل: وهو اكتساب المعلومات مضافاً إليها وجهات نظر، وغيرها(عبد العزيز، د.ت.، ج١، ص٢٣٩).

وعلى المعنى الواسع فإن أساليب التعليم تعتبر من مكونات المنهج الأساسية، ذلك أن الأهداف والمحتوى لأي منهج دراسي لا يمكن تحقيق ما أريد من خلالهما إلا بواسطة المعلم، والطرق التي يتبعها في تدريسه (عليان، ٢٠٠٠م ، ص٣٥).

**أهمية أساليب التعليم:**

ومما يدل على أهمية أساليب التربية والتعليم أنها تعتبر جزءًا أساسياً من المنهج التعليمي، فهي تمثل الوسيلة الأهم لجعل الموقف التعليمي فعالا، فهي حلقة الوصل بين المتعلم والمنهج، و"تتكون عملية التعلم من طرفين أحدهما الطالب والطرف الثاني هو المدرس والكتاب المدرسي ، وتعد طريقة التدريس حلقة الوصل بين الطرفين فالمنهج لا يخرج إلى حيز التنفيذ ما لم تكن هناك طريقة جيدة"(رضوان، ١٩٧٣م، ص١٣٩).

إن تنوع أساليب التعليم يعتبر من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم-؛ فكان يختار من الطرق أفضلها وأحسنها، وأوضحها بياناً، وأشدها تأثيراً في نفوس المتعلمين، فاستخدم في كل موقف الطريقة المناسبة له، فكان بحق المعلم الأول، وقد أشارت الطرق التربوية مؤخراً كل ما راعاه – صلى الله عليه وسلم- في طرق تعليمه، وأكدت على أهميته في نجاح العملية التعليمية. ويمكن اعتبار طريقة التدريس بمثابة همزة الوصل بين المتعلم وبين مكونات المنهج، والطريقة بهذا الشكل تتضمن المواقف التعليمية التي ينظمها المعلم، والأسلوب الذي يتبعه المعلم في ذلك. إن الطرق التعليمية تستطيع جمع أذهان المتعلمين لتكون متحفزة لتلقى المعلومات والأفكار التي يُراد إيصالها بأفضل صورة للنفس، وأشدها تثبيتاً للمعلومات، وأقرب إلى الفهم والعقل (عليان، ٢٠٠٠م ، ص٣٥ ).

**المبحث الأول : الإسماع والإملاء**

يعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التربوية استخداما في مجال التعليم، وبدأ استخدامه منذ بدء التعليم.

**١-الإسماع:**

كان الإسماع إحدى الطرق الشائعة، ولعله من الطرق الرئيسة في التعليم، وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص١٢٣)، وهذا الأسلوب يعرف كذلك بالإلقاء والتحديث، حيث يقوم المعلم بإلقاء المعلومات والمعارف وتقديم التوجيهات للطلاب وهم ينصتون له؛ لأن المعلم هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، وأن المتعلمين ينظرون منه أن يلقي عليهم بعضاً مما عنده، فهو وحده يتحمل عبء العمل، والمتعلمون يستمعون، وتستند الطريقة إلى الكلمة المنطوقة من المعلم (ناصر، ١٩٩٦م، ص ١٥٩). وفي الحديث الشريف عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "تسمعون يسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم "(السجستاني، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٣٤٦). ومـا زال استخدام هذا الأسلوب شائعاً إلى اليوم مع وجود محاولات للاستغناء عنه واستبداله بأساليب

أخرى حديثة خاصة مع استخدام التقنية في التعليم وتطور طرق توصيل المعلومات والمعارف للطالب. وأسلوب الإلقاء يعتمد على شيئين اثنين هما العرض، والإخبار؛ فهما اللذان يتم بواسطتها إيضاح أو تفسير فكرة أساسية للطلاب؛ لذا فإن أسلوب الإلقاء هو أسلوب عرض يهتم بالدرجة الأولى بالتوضيح والتفسير، وقد يستخدم الإخبار، أو القص في كثير من الأحيان ( آل ياسين، د.ت. ، ص٨٦ ).

ولقد اهتمت التربية الإسلامية بهذا الأسلوب فها هو معلم البشرية صلى الله عليه عليه وسلم يستخدم هذا الأسلوب في كثير من المواقف فقد كان إذا حدثت حادثة أو استجد أمر يقوم في أصحابه خطيباً، مستخدما في ذلك طرائق تجذب المستمعين وتشد انتباههم لما يقول، بتعبيرات الوجه واليدين ونبرة الصوت واستخدام أسلوب الاستفهام والتشويق وصيغ النداء، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم مسّاكم، ويقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصابعه: السبابة والوسطى" (النيسابوري، د.ت ، ج ٣، ص ١١). وقد استخدم علماء المسلمين ودعاتهم هذا الأسلوب وما زالوا في خطب الجمعة والعيدين. بالإضافة إلى استخدامه في التعليم والدعوة طريق المحاضرات والدروس والندوات والمؤتمرات والتي مازالت إلى اليوم، ولقد اهتم المحدثون بهذا الأسلوب فروى عنهم قول بعضهم "أول باب من العلم الصمت والثاني استماعه " (السمعاني، ١٤١٤هـ، ص١٤٤) ونقص هذه المهارة، أو تقصير الطالب فيها يؤدي إلى عدم استفادته من الدرس،"فلا ينتفع الرجل بالقول، وإن كان بليغا مع سوء الاستماع "( البغدادي، ١٤٢٢هـ ، ج ١، ص١٩٥).

ومن المبادئ التربوية أيضا التي نصح بها المعلمون الطلاب لتحقيق مهارة حسن الاستماع، عدم المداخلة مع المعلم عند الإلقاء، إذا كان الطالب قد سبق معرفته للمحتوى الذي يذكره المعلم فيحدث حديثا قد سمعته، أو يخبر خبرا قد علمته ،فلا تشاركه فيه البغدادي، ١٤٢٢هـ ، ج ١، ص١٩٦)، و كان عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن (من أهل قرطبة وتوفي ٥٣١ هـ )، " صابرا على القعود للناس،

مواظبا على الاستماع، يجلس لهم يومه كله، وبين العشائين، وطال عمره وسمع منه الآباء والأبناء، والكبار والصغار" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٣٤٩)، وعامر بن إبراهيم بن عامر بن عمروس الحجري (من أهل قرطبة، وسكن طليطلة ومات بعد ٤٣٣هـ) " كان يجلس في مسجده للرواية غدوة، ويتصرف في معاشه داخل نهاره ثم ينصرف إلى مسجده عشاء، فربما قرئ عليه وإلا كتب" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٤٤٢). وكانوا يواظبون على السماع من مرحلة دراستهم الأولى في سن مبكرة، فيقال مثلا أن ابن مريوال بن جراح بن حاتم المتوفى (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) بدأ بالسماع وعمره لا يتجاوز إحدى عشرة سنة (ابن بشكوال، ١٩٥٥م ،ج١، ص٣٨-٣٩).

**٢- الإملاء:**

مفهومه: "الإملاء هو أن يقعد عالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ويكتب التلاميذ فيصير كتابا ويسمونه الإملاء والأمالي" (الهنيدي، ١٤٢٤هـ، ص٢٧٩)، والأمالي هي ما يكتبه الطلاب وراء معلمهم، سواء تكلم من حفظه أو من كتاب فيصير كتابا أو بحثا. ولأهمية هذا الأسلوب
فقد أقسم الله بأداته الرئيسة وهي القلم كما في قوله تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } (سورة القلم: آية رقم ١).

والإملاء هو يشبه أسلوب الإسماع، والاختلاف في حالة المتلقي، فهو في الحالة الأولى يسمع ويحفظ، وفي الحالة الإملاء يضبط الأستاذ " كل كلمة يقولها، والطالب يقيد كل كلمة يسمعها" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ١٨٣). وهي طريقة مشابهة للإقراء، لكنها تميل أكثر إلى القول من الذاكرة حيث يملي المعلم على طلبته ما يعرفه من علوم. ويمكن لنا تبين الطريقتين، الإقراء والإملاء، من الترجمة التي أوردها ابن بشكوال لأحمد بن عبد الله بن طريف، المتوفى ٥٢٠هـ/١١٢٦م، حيث يقول:" قرأت

على أبي مروان الطبني قال: قرأت على أبي الحسن علي بن عمر الحراني بمصر، قال أملى علينا حمزة ابن محمد الكناني" (عيسى، ١٩٨٢م، ص٣٤٩). وأغلب الظن أن هؤلاء المعلمين لم يكونوا يحترفون التعليم، وإنما يسمع منهم القرآن ويقرأ عليهم، كما يؤخذ منهم الحديث. ففي قرطبة سكن أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ( ٣٤٠-٤٢٩هـ) "وأقرأ الناس بها محتسبا، في سبيل الله، وأسمعهم الحديث، والتزم الإمامة بمسجد متعة، ثم خرج إلى الثغر، فتجول فيه وانتفع الناس بعلمه" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٤٤-٤٥). وعن ثابت بن محمد الجرجاني (توفي ٤٣١ هـ) أنه " أملى بالأندلس كتابا في شرح كتاب الجمل للزجاجي" (الضبي، ١٩٦٧م، ص٢٥٣)، وحكي عن أبي مروان الطبني عند عودته إلى قرطبة أنه " أملى، واجتمع إليه في مجلس الإملاء خلق كبير" (الضبي، ١٩٦٧م، ص ٣٧٩).

وكانت لمجالس الإملاء والتحديث آداب متبادلة بين المعلمين والطلبة، فالمستملي يدعو للشيخ ولوالديه وللمسلمين في أول المحاضرة، ويخاطب المحدث (المعلم) بقوله: يرحمك الله، وكذا المعلم الذي يستهل خطابه بالدعاء للطلبة ويختمه بذلك، وبالنوادر والأشعار والحكايات لإذهاب الملل والسآمة عن الطلاب (السمعاني، ١٤١٤هـ، ص٣٣٨) كما "يستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين (السمعاني، ١٤١٤هـ ، ص ٢٦). ومن الآداب الحرص الشديد على موعد الدرس من الطالب والشيخ على حد سواء، كما قال أحدهم بعد اتفاقه مع الطلبة على موعد لدرس العلم :" لئن أموت عطشان، أحبُّ إليّ من أن أكون مخلافاً بموعد" (البغدادي، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٧٠).

ومما يؤكد على شيوع هذه الطريقة في البناء المعرفي للمتعلم منذ صغره، أن الصغار كانوا يتعلمون أساسيات القراءة والكتابة، فيذهب التلميذ إلى معلمه ومعه اللوح، فلذا كان معلم الكتاب الذي يدرس القرآن الكريم يملي على الصبيان وهم يكتبون ثم يقومون باستذكاره وهذه إما أن تكون من كتاب بين يدي الأستاذ وإما أن

تكون من ذاكرته حتى سميت بعض الكتب بالأمالي. كما كانوا يحرصون على أن يجلس الصبي الصغير في مجالس الإملاء في وقت مبكر، كما روي عن محمد بن إسحاق قوله: "رأيت أبا سلمة بن عبد الرحمن يأخذ بيد الصبي من الكتاب فيذهب به إلى البيت فيملي عليه الحديث ويكتب له "( البيهقي، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٧٣).

وقد دأب العلماء قبل الشروع في الإسماع والإملاء إلى القيام بمجموعة من الآداب التربوية النبوية؛ فمنها على سبيل المثال: التطيب والتنظف والطهارة؛ إذ أن دين الإسلام دين النظام، وحديث النبي – صلى الله عليه وسلم- معظم، فكان الإمام مالك -رحمه الله- إذا جاءه الطلبة يسألونه خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا: المسائل خرج إليهم، وإن قالوا: الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب، ولبس ثياباً جدداً، ولبس وتعمم، ووضع على رأسه رداءه، وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- (عياض، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٥).

ومما سبق نستنتج أن الإملاء والإسماع يتشابهان في حالة الإلقاء من المعلم، ويختلفان في حالة المتعلم. ففي الإسماع يسمع المتعلم ويحفظ، وفي الإملاء يسمع المتعلم ويكتب كل كلمة يسمعها من المعلم. ومن الملاحظ أن هذه الطريقة لازالت مستخدمة في وقتنا الحاضر في الدروس العلمية المقامة في المساجد فبعض الطلاب يستمع دون أن يكتب، والبعض الآخر يكتب ما يسمعه من المعلم.

### المبحث الثاني: الإقراء

وهو أشهر طرق التعليم، وقد تسمى القراءة على الشيخ فهي: أن يقرأ التلميذ على الشيخ حفظا أو من كتاب ويكون من الشيخ التعليق أو الشرح لبعض ما يحتاج لذلك.

إذ فيها السماع من الشيخ مباشرة والجلوس إليه، وتتطلب هذه الطريقة من المعلم تركيز الانتباه مع الطالب لكي يصحح له ما قد يخطئ فيه، وتحافظ هذه الطريقة على نشاط المتعلم وإيجابيته في العملية التعليمية، فهو يقرأ، ويفهم، ويصوب كتابه، ويضمن لمادته العلمية التي تكون الأساس في تكوينه العلمي السلامة من الزيف والخطأ، ولذلك يقول يحيى بن سعيد:" إذا قرأت على المحدث كان أحب إلي، لأنه يصحح لي كتابي" (البغدادي، ١٤٢٢هـ، ج١، ص ٢٧٥). وتوفر القراءة على الشيخ للمتعلم الوقت، فمن الممكن أن يقوم بجمع المادة العلمية من كتب، ثم يعرضها على المعلم لمراجعتها وتقويمها، وهذا يشبه إلى حد ما البحث العلمي في الجامعات الآن، وكذلك في دروس الحرمين الشريفين والدروس العلمية في المساجد، ومن ذلك:"أن رجلا سأل الحسن فقال :يا أبا سعيد منزلي ناء، والاختلاف يشق علي، ومعي أحاديث ،فإن لم تكن ترى بأسا، قرأت عليك ؟ قال: ما أبالي قرأت علي، أو قرأت عليك، فقال: فأقول حدثني الحسن؟ قال: نعم، فقل: حدثني الحسن" (السخاوي،١٤٠٣هـ، ج٢ ، ص١٧١).

وهذه الطريقة هي الأكثر شيوعا في تعليم القراءات القرآنية، كما أنها تستخدم عامة في العلوم الدينية واللسانية، مع بعض الطرق الأخرى. يقول ابن بشكوال مثلا عن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي المتوفى في سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م، أنه أقرأ الناس مدة طويلة، وعمر وأسن وجالسته وأنا صغير السن (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٧٤).

وقد شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطاً باهراً في عصر ملوك الطوائف، ورعت مملكة دانية العلوم القرآنية وتألق في هذه الفترة كبار علماء القراءات الأندلسيين وكان رائدها شيخ القراء أبا عمرو الداني وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني، من بلاط مجاهد العامري أمير دانية (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، إمام وقته في الإقراء، محدث أديب، رحل إلى المشرق سنة (٣٩٧هـ ( وطلب علم القراءات فرأس فيه، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس فتصدّر

بالقراءات وألف فيها. وأحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسي المتوفى ٤٢٩هـ/ ١٣٠٧م، كان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم، قراءته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومعانيه، سكن قرطبة وأقرأ الناس بها محتسبا (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٤-٤٥). ويحكي أبو الحسن بن مغيث عن أستاذه أحمد بن عبد الله التميمي المتوفى سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، أنه كان يختلف عليه، ليقرأ عليه كتب الأدب بالمسجد الجامع، حيث كان له موضع مخصص لإقرائه(ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٦٣-٦٤). فيقال مثلا عن فرح بن حديدة، بطليوسي، المتوفى عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م أنه كان عالما بالقراءات، متصدرا للإقراء بها، جرى بينه وبين أمير بلده، المظفر أبي بكر محمد بن عبد الله المعتضد بن عباد، ووافى حينئذ إكمال أمه السيدة بناء مسجدها. وكانت أوقات عياض بن موسى بن عياض (٤٧٩/٦-٥٤٤هـ) موزعة على ثلاثة أعمال رئيسة، القضاء، والتأليف، والإقراء لما يؤلفه" (عياض، ١٩٧٠م، ص ١٠). نقرأ في بعض المراجع أن فئة من المعلمين تصدت للإقراء، مع أنها وصفت بالأمية، ينقل ابن بشكوال عن خلف بن غصن بن علي الطائي المتوفى بميورقة سنة ٤١٧هـ، ومن أهل قرطبة، أنه " أخذ القراءة عن أبي الطيب بن غلبون، وهو الذي لقنه القرآن، وعن أبي حفص بن عراك، أقرأ الناس بقرطبة وغيرها، وكان أميا، ولم يكن بالضابط للأداء، ولا بالحافظ للحروف، وكان خيرا فاضلا" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م ، ج١، ص١٦٦).

هذه الأساليب في السماع والقراءة، واجهت نقدا تمثل فيما ذكره عياض بن موسى بن عياض (٤٧٩ هـ - ٥٤٤هـ)، في مقدمة كتابه "شارق الأنوار، ذاكرا سبب تأليفه الكتاب حيث رأى أن المتأخرين قد تساهلوا في الأخذ والأداء حتى أوسعوه اختلالاً، ولم يألوه خبالاً، فتجد الشيخ المسموع بشأنه وثنائه يتكلف الناس مشاق الرحلة إليه، ويتناوبون الأخذ عنه، وحضوره كعدمه، لأنه لا يحفظ حديثه، ولا يمسك أصله، بل يمسك أصل سواه، وربما كان معه من يتحدث معه، أو غدا مستثقلا نومه، أو مفكرا في شؤونه حتى لا يعقل ما سمعه، ولعل الكتاب المقروء لم يقرأه قط، ولا علم ما فيه

إلا في نوبته تلك، أو يكون بعض متساهلي الشيوخ، قد ناوله كتبا لا يعلم سوى ألقابها، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق، ويكتفي بأن يجد عليها أثر دعوى المقابلة والتصحيح، والآخذون عن الشيخ يتساهلون كذلك، فلا يضبطون ما يكتبون، وقد يتشاغلون أثناء السماع بمحادثة الجلساء، وربما حضر مجلس الشيوخ صبي لم يفهم بعد عامة كلام أمه، فيعتدون بصحة سماعه، إذا كان قد أوفى أربعة أعوام، ويحتجون بحديث محمود بن الربيع الذي يقول فيه: عقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي، وأنا ابن أربع سنين وليس في عقل محمود هذه المجة حجة على عقله لكل شيء كان أمره أو من حوله (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ١٣٢).

ويتبين لنا أن أسلوب الإقراء يتلخص في أن يمسك المعلم كتابا ويقرأ منه، ويقوم الطلبة بكتابة نسخهم، أو أن يقوم الطالب من المجموعة بالقراءة في حضرة الأستاذ ويقوم الطلبة الآخرون بالكتابة، ويعمل الأستاذ على تصحيح القراءة وتقديم النطق السليم للكلمات والمواضع الصحيحة للوقف والابتداء.

**المبحث الثالث: المناقشة والحوار**

مفهومه: الحوار لغة: "المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وحاورته أي راجعته الكلام". (الرازي،١٤٢٦هـ، ص١٥٤). ويُعرَف بأنه: " المراجعة في الكلام، والتجاوب بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر وسماحة النفس... والتعامل المتحضر الراقي مع الأفكار والآراء جميعاً "(العلواني، ١٤٢٦هـ، ص٣٧ ). وهو من الناحية التربوية والتعليمية يُعرَّف بأنه:" أن يسأل المعلم عن الأمر الذي يريد تعليمه، فإذا عجز الطالب أو أجاب بغير ما يريد أن يعلمه صحح له أو أعطاه العلم عن طريق الجواب" ( النحلاوي، ١٤٠٦هـ، ص١٣٧ ) قيل هو: " اعتماد المعلم في تعليمه على السؤال والجواب بينه وبين المتعلمين، أو بين متعلم ومتعلم آخر تحت إشرافه وتوجيهه، انطلاقاً من ميل المتعلمين إلى الاستطلاع والمعرفة، وتحقيقاً للغاية من

تعليم ما يجب أن يتعلموه" (عليان،١٤٢١هـ ، ص٥٤). وفي القرآن الكريم والسنة النبوية استخدام لأسلوب الحوار في الحوار مع الكافرين وبيان الحق والدين كما في قول الله تعالى:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) }

(سورة الكافرون: آية ١-٣). ففي هذه السورة حوار مع الكافرين على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يحدد لكل دينه في الإتباع، وفي القرآن الكريم آيات حوار قرآني مع أهل الكتاب يدعوهم إلى قول الحق وعدم كتمانه أو لبسه بالباطل حيث ورد في سورة آل عمران قوله تعالى:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (سورة آل عمران: آية ٧١)، ولقد جاء كذلك الأمر به والحث عليه القرآن الكريم في قول الله سبحانه:

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

(سورة النحل: آية٤٣).

فالآية فيها أمر للمتعلم أن يحرص على سؤال أهل العلم فيما لا يعلمه،" فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة" (السعدي، ١٤٢٣هـ، ص٤٤١).

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على كثرة استخدام المعلم الأول صلى الله عليه وسلم لأسلوب الحوار في التعليم وإلقاء الأسئلة للتشويق للإجابة، ومن ذلك ما رواه "معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: " بينا أنا رديف النبي - صلى الله عليه و سلم- ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: ( يا معاذ)، قلت: لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال: ( يا معاذ)، قلت: لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة، ثم قال: ( يا معاذ )، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: " هل تدري ما حق الله على عباده "، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " حق الله على عباده أن يعبدوه ولا

يشركوا به شيئا "، ثم سار ساعة، ثم قال: ( يا معاذ بن جبل )، قلت: لبيك رسول الله وسعديك فقال: " هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه "، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " حق العباد على الله أن لا يعذبهم " (رواه البخاري، الحديث رقم ٦٥٠٠).

وقد قرر القرآن الكريم مثل هذا الأسلوب ابتداء من المتعلم بل حضّ عليه، فقال سبحانه:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (سورة النحل: آية ٤٣)، ففي هذه الآية حثّ للمتعلم ابتداء على السؤال، إذ فيه معرفة ما غمض، أو فهم ما أشكل. ولا أدل على أهمية هذا الأسلوب من قول النبي – صلى الله عليه وسلم- في الحديث: (إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم) (رواه مسلم، الحديث رقم ١). عندما سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان مع أن جبريل كان يسأل، فدل أن السؤال تعليم بنفسه. كما استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب بكثرة، فالمتتبع لأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم- يجد ذلك واضحاً، فدل ذلك على أهمية هذا الأسلوب في التربية والتعليم، فقد كان – صلى الله عليه وسلم- يسأل أصحابه أحياناً ليعلمهم مسألة من العلم أو يقرر لهم أخرى؛ من ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم-: (أتدرون ما المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (رواه مسلم، الحديث رقم ٢٥٨١ ).

فقد بادر – صلى الله عليه وسلم- أصحابه بالسؤال مذكراً إياهم بأمر قد يقع فيه إشكال، أو ليحذرهم من أخطاء قد تقع، وذلك من خلال استخدام أسلوب السؤال والجواب، وربطه بأمر مألوف متداول، حيث يشحذ النفوس إلى ذلك الأمر، كما يبقى له أثره في النفس، لأن فيه استعمال المحاكمة العقلية، والمنطق، وهو أسلوب " يمكن

الإنسان من التمييز بين الحق والباطل بالحجة وبالمشاهدة الحسية، وليس بالقصر أو التقليد الأعمى" (الجمالي، ١٩٧٠م، ص١١٤ ).

والحوار تتخلله أسئلة الطلاب وأجوبة المعلم، ونرى مثالاً لذلك، ما ذكر عن صاعد (المتوفى ٤٤٧هـ- ١٠٢٦م)، أنه " أدخل إلى الأندلس طريقة جديدة في درس الشعر الجاهلي، تتلخص في أن يقرأ الطالب القصيدة ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ، فيقوم بالشرح معتمدا على قائمة من المعاني، يكون قد استخرجها من المعاجم العربية "( بالينثيا،١٩٥٥م ، ص ٦٦). ويظهر في هذا الأسلوب:" اعتماد المعلم في تعليمه على السؤال والجواب بينه وبين المتعلمين، أو بين متعلم ومتعلم آخر تحت إشرافه وتوجيهه، انطلاقاً من ميل المتعلمين إلى الاستطلاع والمعرفة، وتحقيقاً للغاية من تعليم ما يجب أن يتعلموه" (عليان، ٢٠٠٠م، ص٥٤).

وبهذا يتبين أن هذه الطريقة وردت في الكتاب والسنة في مواضع عدة منهما، وذلك أن طريقة التعليم بالحوار وإلقاء الأسئلة تعني باستخدام الاستفهام والتشويق للجواب وللمعلومة المراد إيصالها للمتعلم مما يجعل استيعابه لها أكثر من لو ألقيت عليه مباشرة.

**المبحث الرابع: المناظرة**

مفهومه: المناظرة لغة: هي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته، وتجري بين نظيرين أو متقابلين فلو جرت بين غير متماثلين، لا يسمى في اللغة مناظرة (الزبيدي، ١٤١٥هـ، ج٣، ص٥٧٥ ).

واصطلاحاً: " من النظير أو من النظر بالبصيرة وهي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب (الجرجاني،١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٢٩٨). ويعرفها البعض بقوله: "تقوم هذه الطريقة على أساس النقاش بطرح الأسئلة

وتلقي الأجوبة للوصول إلى حقيقة من الحقائق لا تحتمل الشك ولا النقد ولا الجدل (سعد الدين،١٤١٢هـ، ص٢٦٧).

وقد وردت هذه الطريقة في القرآن الكريم وجاء الحث عليها عندما تكون لإظهار الحق وإقامة الحجة ومما يدل على ذلك قوله تعالى:

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آَمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }(سورة العنكبوت: آية ٤٦)، ومما يدل على أن الاحتجاج والمجادلة بالعلم أمر مباح وسائغ إذا كان فيه إظهار للحق وإقامة للحجة ودعوة إلى الخير. أما إذا كانت بغير علم أو لغرض فاسد فإنها تكون من المجادلة بالباطل المحرمة شرعاً؛ لما تؤدي إليه من نزاع وشقاق وفتنة، قوله تعالى:

{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (سورة آل عمران: آية ٦٦).

ولقد اهتم العلماء المسلمون بهذه الطريقة اهتماما كبيرا؛ وذلك لأنها تقوم على شحذ الذهن، وتقوية الحجة، وانطلاق البيان، والتفوق على الأقران، وتعويد الثقة بالنفس ولذلك اعتبرها العلماء المسلمون من أهم الأساليب التعليمية وكان هؤلاء العلماء يشجعون طلبتهم على المناظرة، و يوجبون عليهم التمرن عليها، ومن شدة الاهتمام بهذه الطريقة أصبح الطالب يخالف أستاذه أحيانا الرأي ولكن مع مراعاة التأدب والاحترام (الإبراشي، د.ت.، ص١٣٢). ومحمد غنيمة يعتقد أن " المناظرة في الغالب بين الأساتذة بعضهم وبعض" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص٢٠٤). ولعل ما ورد عن عبد الله بن أحمد بن عثمان (توفي ٤١٧هـ) يوضح جانبا من مفهوم المناظرة، فقد" كان يبدأ المناظرة بذكر الله عز وجل، والصلاة على محمد - صلى الله عليه وسلم -، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كان يناظرون عليه فيه " ( ابن بشكوال ، ١٩٥٥م،

ج١، ص٢٦٢ ). ولدينا كثير من التراجم التي اعتمد فيها الأساتذة على طريقة المناظرة في تعليمهم فيقال مثلا عن أحمد بن محمد بن رزق الأموي، المتوفى ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، أنه كان مدار طلبة الفقه في قرطبة في المناظرة والمدارسة، والتفقه عنده (ابن بشكوال ، ١٩٥٥م، ج١، ص٦٥). وأحمد بن محمد بن عمر التميمي، من أهل المرية، توفى ٥٤٠هـ/١١٤٥م، ناظر عند الفقيهين ابن رشد وابن عواد(ابن بشكوال ، ١٩٥٥م، ج١، ص٨٦). ويقال عن أحمد بن محمد بن أحمد بن بقي بن مخلد المتوفى٥٣٢هـ/١١٣٧م، أنه صحب أبا عبد الله محمد بن مفرج الفقيه، وانتفع بصحبته(ابن بشكوال ، ١٩٥٥م، ج١، ص٧٩). وبما أن استخدام هذا الأسلوب قد يحصل به بعض المفاسد فيصبح مراءً وجدلاً فتنعدم الفائدة المرجوة منه؛ فقد حدد العلماء قواعد وآداباً لمشروعية المناظرة منها :

١ـ إخلاص النية: والقصد بها البحث عن الحق وإتباعه. إذ بالمناظرة تُعرف الحقائق، ويظهر الحق؛ فلا بدّ من العمل به والرضى، فقالوا: "العلم ميت، إحياؤه الطلب، فإذا حي بالطلب، فهو ضعيف قوته الدرس، فإذا قوي بالدرس فهو محتجب، إظهاره بالمناظرة، فإذا ظهر بالمناظرة، فهو عقيم، نتاجه العمل" (البغدادي، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص ٨)، فالمناظرة متى كانت كذلك حققت أهدافها، وإن أريد بها غير ذلك من حب الجدل والظهور والاعتداد بالرأي، والتعالي على الآخرين، كانت عقيمة ضارة غير نافعة، قد تنقلب إلى شجار وقطيعة وخصام قد لا ينتهي.

٢ـ النظر في كلام الطرف الآخر بعين الإنصاف: بالبحث فيه واستخراج الحق منه وبيان الباطل ورده بالحجة والبرهان. فلا يتكبر عن الحق إن وجده عند المناظر الآخر، فقد قال بعضهم للآخر: " تكلم فإن أصبتَ كنتَ مفيداً، وإن أخطأتَ كنتَ مستفيداً، كالغازي، إن قَتَل كان حميداً، وإن قُتِل كان شهيداً " (البغدادي، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص١٠). وقد بيّن بعض المحدثين، أن يرشد المناظر لذلك قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ : "فأعلمه أن مناظرتي إياك مناظرةُ من يطلب الحق، وليست مناظرة مغالب" (الآجري،١٤٢٢هـ ، ص٥٦). فبالمناظرة يستفيد جميع المتعلمين؛ لأنّ من أصاب فقد أفاد، ومن أخطأ فقد استفاد، وهذا المقصود من هذه الوسيلة، فعلى العالم

أو المتعلم أن لا يناظر كلّ أحد، بل عليه أن ينظر إلى حال المناظر؛ فإن كان هدفه قصد الحق والحقيقة ناظره بأدب، وإن كان قصده غير هذا توقف عنها .

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ تحت باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء: إن «الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما وردت في النهي عن الجدال والمراء في القرآن... وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك، وليس الاعتقادات كذلك، لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة ـ أهل السنة ـ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله- صلى الله عليه وسلم -....» (القرطبي، ١٣٧٢هـ، ج٢، ص١١٣).

ويتبين لنا أن المناظرة طريقة تبدأ فيها المسألة، بطرح السؤال من الطالب على الأستاذ، ثم يبدأ الأستاذ في الإجابة على السؤال مبينا كل جوانبه ونواحيه، وخفاياه وما يترتب عليه. أو أن الأستاذ نفسه يفترض السؤال كما لو كان موجها إليه، ثم يبدأ هو بالإجابة على هذا السؤال.

ويظهر مما سبق أن اختيار العلماء لأحسن الطرائق والأساليب التعليمية يدل على الإتقان الذي يجب على كل مسلم، فضلاً عن كل معلم، ولو تمسك المعلمون بهذا المبدأ لأصبحت العملية التعليمية أكثر فعالية وجودة.

# الفصل السادس

# مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

ويشتمل على عدة مباحث هي:

المبحث الأول: العلوم الدينية.

المبحث الثاني: العلوم اللغوية.

المبحث الثالث: العلوم العقلية.

# الفصل السادس

## مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري

تميزت مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري بالتنوع، كما امتاز الأندلسيون بوفرة العلماء الموسوعيين، فنجد أحدهم بارعاً في العلوم التطبيقية العقلية من فلسفة وطب، وحساب وجبر وهندسة، وفلك وعلوم طبيعية، إلى جانب العلوم الدينية وظهر في الأندلس عدد لا حصر له من العلماء والأطباء والنباتيين والفلاسفة، ومختلف أنواع العلوم.

وقد طبع الفكر الإسلامي أهالي هذه البلاد بطابعه الخاص، وكان شعب الأندلس شعباً يقبل على العلم للعلم ذاته، ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم ، وكان الرجل ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم ، ومتى عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان (الشكعة، ١٩٨٣م، ص ٧١)، وقد ألف الأندلسيون في علوم القرآن والحديث والفقه، والجدير بالذكر أن المذهب الذي كان عليه أهل الأندلس في تلك الفترة هو المذهب المالكي (الغلبزوري، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦).

كما ألف أهل الأندلس في القضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والتاريخ والسيرة والجغرافية، وألفوا في علوم الطب، والحساب والهندسة، والفلك والكيمياء، والمنطق والفلاحة، والملل والنحل، وفي الفلسفة والموسيقى، بحيث لم يتركوا حقلاً من حقول العلم والمعرفة إلا طرقوها (عجيل، ١٩٧٥م، ص٢٦٣).

وامتاز الأندلسيون بالسرعة في تلقف علوم العالم القديم، من فلسفة وتاريخ، وحساب وجبر وهندسة، وفلك وعلوم طبيعية، وظهر في الأندلس عدد لا حصر له من العلماء والأطباء والنباتيين والفلاسفة ومختلف أنواع العلوم، وقد طبع الفكر الإسلامي أهالي هذه البلاد بطابعه الخاص.كما مجد الأندلسيون العلماء والفقهاء

ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي أما العلماء فقل من تجده متبحراً في علم واحد أو علمين ؛ بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين (الرافعي، ١٩٤٠م، ج٣ ، ص ٣٣١).

وقد شهد هذا العصر بما فيه من اضطرابات سياسية وتنازعات داخلية ازدهار العلوم والأدب وتطور الشعر. ولم تفقد الحياة العلمية والأدبية من تطورها شيئا في هذا العصر، ولعب فيها تنافس ملوك الطوائف بينهم لاجتذاب العلماء الشعراء أو الأدباء إلى قصورهم دورا كبيرا. ونشأ كثير من العلماء، والأدباء، والشعراء مخلفا وراءه كتبا قيمة في مختلف المجالات. و يقول المقري في هذا الصدد " ولما ثار بعد انتثار هذا النظام ملوك الطوائف وتفرقوا في البلاد، وكان في تفرقهم اجتماع على النعم لفضلاء العباد، إذ نفقوا سوق العلوم، وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول: العلم الفلاني عند الملك الفلاني، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني، وليس منهم إلا من بذل وسعه في المكارم، ونبهت الأمداح من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم، وقد سمعت ما كان من الفتيان العامرية مجاهد ومنذر وخيران، وسمعت عن الملوك العربية بنو عباد وبنو صمادح وبنو الأفطس وبنو ذي النون وبنو هود، كل منهم قد خلد فيه من الأمداح، ما لو مدح به الليل لصار أضوأ من الصباح، ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض، وتفتك في أموالهم فتكة البراص، حتى إن أحد شعرائهم بلغ به من رآه منافستهم في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيد إلا بمائة دينار. وأن المعتضد بن عباد على ما اشتهر من سطوته وإفراط هيبته كلفه أن يمدحه بقصيدة فأبى حتى يعطيه ما شرطه في قسمه" (المقري، ١٩٦٨م، ج ٤، ص١٧٩-١٨٠ ).

ورغم أهمية التعليم الديني إلا أنه لم يكن الهدف النهائي والوحيد، ولكن كان للتعليم هدفه الدنيوي أيضاً، فقد كان المعلم هو الوسيلة الوحيدة لتغير المستوى الاجتماعي، وكان كل من يستطيع أن يتعلم، يستطيع أن يصل إلى أعلى المراتب السياسية والاجتماعية في المجتمع، ومن هنا كان العلم هدفا ووسيلة في حد ذاته،

وكان للعلم فوائده الدنيوية التي لا شك فيها، والمناظرة التي حدثت بين أبي حزم وأبي الوليد الباجي في غرض تعلم كل منهما يمكن أن تبين لنا بوضوح، أنه لدى كل من العالمين الكبيرين، كان الغرض الدنيوي واضحا ودائما لما حصلاه من العلم، فأبو الوليد الباجي يقول لابن الحزم: أنا أبعد منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه، فتسهر في مشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر في قنديل بائت السوق، فقال ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذه الحال وجاء تبديلها بمثل حالي، وأما أنا طلبته في حال ما تعلمه، وماذكرته، علم لا أرجو به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة (المقري، ١٩٦٨م، ج٢، ص٢٨٢).

ولقد كانت السياسة التعليمية عند أبي الوليد الباجي هي: حفظ القرآن الكريم، وحفظ الحديث الشريف، والتعرف على ما كان منه صحيحا، وما كان غير صحيح، ودراسة علم أصول الفقه الذي هو أصل معرفة القرآن ومعرفة الحديث، ويجب على الطالب أن يتدرب تدريبا سليما على معرفة طرق النظر، وتصحيح الأدلة، وإقامة البرهان(ابن خلدون، ١٩٨٤م ، ص ١٧).

وينقل عن أبي بكر بن العربي (٤٦٨ هـ- ٥٧٣ هـ) محمد بن عبد الله المعافري، وصفه للتعليم في الأندلس، يرينا كيف يتدرج الأندلسيون في تعليم أبنائهم. ولكننا لا نستطيع أن نتبين أي المراحل يقصد حديث ابن العربي في قوله: " فصار الصبي عندهم إذا عقل، فإن سلكوا به أمثل طريقة له، علموه كتاب الله، فإذا حذقه إلى الأدب، فإذا نهض منه حفظوه الموطأ، فإذا لقنه نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار، ثم يختمون له بأحكام ابن سهل" ( مكي،١٩٧٣م، ص ١٢٧).

**أنواع العلوم في الأندلس:**

يرى ابن عبد البر القرطبي (٣٦٨-٤٦٣ هـ) أن العلوم ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل، وعلم أوسط، فالعلم الأعلى، علم الدين، والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا

كعلم الطب والهندسة، والعلم الأسفل هو أحكام الصناعات، وضروب الأعمال التي يحصل عليها بتدريب الجوارح، (ابن عبد البر، ١٤٢٢هـ، ص٢٨٧).

وأرى أن العلوم المهنية لا تعد علما أسفل بل هي أساس في النهضة الحضارية لجميع البلاد.

ومن جانب آخر يحدث ابن حزم الفقيه (٣٨٤- ٤٥٦ هـ) على طلب العلم ، واالتنويع فيها قائلا: " أما الاشتغال برواة القراء المشهورين السبعة، وقراءة الحديث وطلب علم النحو واللغة، فإن طلب هذه العلوم فرض واجب على المسلمين على الكفاية ...، فإذا قام بذلك من يعنى بهذا القدر سقط فرض طلبها حينئذ عن الباقين إلا ما يخص كل إنسان في نفسه فقط" (ابن حزم، ١٩٨١م، ص ١٦٠). وقال ابن حزم من رسالة أهل قرطبة: أنهم من التمكن في علوم القراءات والروايات فقط، وكثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر، والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء، متنائي الأقطار فسيح المجال. وقد ذكر ابن حزم في رسالته هذه من نبغ في الأندلس من المؤلفين في علوم الدين والنسب والتاريخ والطب وعد بعض كتبهم (علي، ١٩٥٠هـ، ص ٥٦). وتوجيه المعلمين للطلاب الجانب الدراسي في حياة طلابهم، لم يهمل الجانب الأخلاقي في شخصياتهم، فأبو الوليد بن رشد يوجه محمد بن يحيى بن فرج ابن الجد فهري (٤٩٦-٥٨٦هـ) إلى " دراسة الفقه، ومطالعة الحديث والإشراف على الاتفاق والاختلاف، بعد أن عني بالعربية أول أمره، ومال إلى الاقتصار عليها، وذلك " لما رأى من سداد فطرته، واتقاد فطنته، فبلغ الغاية ونفع الله به، وانتهت إليه الرياسة في الحفظ والفتيا" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج٢، ص٥٤٢).

**المبحث الأول: العلوم الدينية**

احتلت العلوم الدينية المرتبة الأولى عند أهل الأندلس. وذلك بفضل الفقهاء الذين كانوا يشجعونها ويرغبون الناس في الإقبال عليها والنهل منها. وقد صادفت تلك العلوم بيئة صالحة ؛ فأقبلت النساء، كما الرجال، على دراستها. وقد شجعتها نساء

أندلسيات فاضلات، قضين جلّ أوقاتهن في التفقه وحفظ الأحاديث والعبادة. وحظيت الدراسات القرآنية باهتمام كبير من علماء الأندلس، إذ كان من الطبيعي والقرآن الكريم هو مصدر التشريع، ومنبع الأحكام أن ينال الكثير من عناية العلماء. ويلخص ابن خلدون طريقة تعليم الأندلسيين للصبيان بقوله: " وأما أهل الأندلس، فمذهبهم في تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون عليه، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب، والترسل وأخذهم بقوانين العربية، وحفظها، وتجويد الخط والكتاب، ولا تخص عنايتهم فيه بالخط، أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى عمر الشبية" (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج٦، ص ١٠٣).

ومن أهم العلوم الدينية التي اعتنى بها أهل الأندلس علم القراءات وعلم الحديث.

**١- علم القراءات:**

و كان لأهل الأندلس مشاركة عظيمة في ازدهار الدراسات الدينية المتعلقة بالقراءات، فقد نَمَتْ هذه العلوم في الأندلس، وظهر قرّاء قديرون استطاعوا أن يقدموا لهذا العلم المهم من علوم القرآن الشيء الكثير، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إنّ أهل الأندلس كان لهم الفضل في إثراء المكتبة الإسلامية بكتب القراءات. فكان علم القراءات من العلوم التي برز فيها الأندلسيون وأحرزوا فيها نتائج رائعة فاقوا غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى. ويصف ابن خلدون ذلك بقوله: "و أعلم أن تعليم الوالدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات"(ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج٦، ص١٢٣). و" كان أهالي الأندلس يتبعون القراءات الشرقية منذ الفتح الإسلامي، ويأخذونها كما هي بدون أن يلقوا بالا إلى التعليقات والشروح الحديثة والدراسات العميقة" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص ٩١).

وروي عن أبي المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي (٣٩٣-٤٧٥هـ)، أن جعفر بن عبد الله بن أحمد التجيبي "تلا عليه القرآن، وسمع الحديث ثلاثة أعوام (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٣٢٢). واتصل نشاط المعتضد بالمعلمين، فقد عين فرج بن حديد المقرئ بالمسجد المنسوب إلى والدته في أشبيلية ليعلم القراءات (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص١٦٢ )، أما عن سليمان أبي القاسم المقري، المتوفى ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م، فقد كان جلة المقرئين وفضلائهم وأخيارهم، عالما بالقراءات وطرقها حسن الضبط ثقة دينا (عيسى، ١٩٨٢م، ص٢٩٠). ولقد "كان محمد بن عمر بن الحسن الفارسي من أهل القرآن ومن أهل العناية الصحيحة بطلب الفقه والعربية والطب والآداب ... مولده بأشبيلية في رجب سنة ٣٥٧ – وتوفي ٤٥٩ هـ" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٥٤١- ٥٤٢) والعاص بن خلف بن محمد الأشبيلي، المتوفى (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)، صنف كتاب (التذكرة في القراءات السبع) وكتاب (التهذيب) (الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١، ص ٣٧٣) وأحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسي المتوفى ٤٢٩هـ/ ١٣٠٧م، كان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم، قراءته وإعرابه وأحكامه وناسخة ومنسوخة ومعانيه، سكن قرطبة وأقرأ الناس بها محتسبا (الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١، ص٤٤-٤٥). وكان الراضي بن المعتمد " من أهل العلم والأدب،كلف بالمطالعة و الدراسة... أشرف على مذهب أبي محمد بن حزم الظاهري، فمهر في الأصول، وذهب إلى النظر والاختيار... وكان عالي الهمة، عالما بالشرعيات، واقفا على الطبيعيات ذاكرا للعرب وأنسابها، حافظا للغاتها وآدابها" (ابن الأبار، ١٩٦٣م، ج٢، ص٧١).

وما من شك أنّ هؤلاء القرّاء لعبوا دوراً هاماً في نشاط علم القراءات وازدهار دراساته، وأسهموا في حركة التأليف في العلوم القرآنية. فقد شهد هذا اللون من الدراسات القرآنية نشاطاً باهراً في عصر ملوك الطوائف، ورعت مملكة دانية العلوم القرآنية وإنّ الكثير منهم قد تركز وجودهم في المناطق الشرقية للأندلس وخاصة في إمارة دانية (عاصمة مملكة مجاهد العامري)، حيث يلمع نجم مجاهد العامري (توفي

٤٤٦هـ)، وهو أحد موالي المنصور بن أبي عامر، وتصبح دانية في زمنه قبلة الناس في تعلم القراءات عن أبي عمرو الداني الذي " بلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أسانيدها، وتعددت تآليفه فيها، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها" (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج٦، ص٧٨٣). فأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان القرطبي الداني كان إمام وقته في الإقراء محدث أديب. رحل إلى المشرق سنة ٣٩٧هـ، وطلب علم القراءات فرأس فيه، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس فتصدّر بالقراءات وألّف فيها. وعرف الداني بنشاطه الجم في تدريس القراءات وتعليمها حتى بين النساء. ويعتبر الداني أحد مفاخر الأندلس ومن يشار إليه بالبنان إذا ما ذكر أقطابها في علوم القرآن، فقد كان واسع المعرفة بالقراءات، عارفاً بدقائقها بارعاً في فهم أسرارها، يدل على ذلك ما خلفه بعد وفاته من مصنفات وتآليف قيّمة" (بعيون، http://souhabaayoun.net). قال الذّهبيُّ "إلى أبي عمرو المُنـتهَى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتَّفسير والنَّحو، وغير ذلك، ألّف كتاب (جامع البيان في القراءات السَّبع)، وكتاب (التَّيسير في القراءات السَّبع)، و(المقنع) في الرَّسم، وكتاب (المحكم في النَّقط)، وكتاب (طَبَقات القُرَّاء)، وكتاب (التَّحديد في الإتقان والتَّجويد)، و(الأُرجوزة في أصول الدِّيانة)، وكتاب (الوَقْف والابتداء)، وكتاب ( اللاَّمات والرَّاءات) لورش، وغيرها" مثل هذه الثقافة لدى الأمراء، كانت تثير نشاطا تعليميا في دوائر العلماء الذين يحيطون بهم، فهم مهتمون دائما بمستواهم العلمي حتى يظلوا جلساء نافعين وممتعين، وهم يبحثون عن الكتب ويؤلفونها لتسد مثل تلك المستويات الثقافية لدى الأمراء.

وكان لبعض النساء مشاركة في ازدهار علم القراءات. تذكر الروايات أنّ العلامة المقرئ عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) أقرأ بمدينة المرية إحدى النساء الماهرات في القراءات وتدعى ريحانة فقرأت عليه القرآن بها، وكانت تقعد خلف ستر فتقرأ، ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف، فأتمت الأحرف السبعة

عليه، وطلبته الإجازة فرفض ولكنه كتبها لها فيما بعد (بعيون، http://souhabaayoun.net).

**٢- علم الحديث:**

أما في علم الحديث فقد عرفت الأندلس في القرن الخامس الهجري طائفة من المحدثين، منهم أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى ٤٦٣ هـ، قال الذهبي: الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبوعمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. مولده في سنة ثمان وستين وثلاث مئة، طلب العلم بعد التسعين وثلاث مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنّف، ووثّق وضعّف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان (ابن خلكان، ١٩٤٨م ، ج٧، ص٦٦ - ٧٢)، والحافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدّثيها في وقته، وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة. رحل عن وطنه قرطبة في الفتنة فكان بغرب الأندلس، ثم تحول منها إلى شرق الأندلس فتردد فيه ما بين دانية وبلنسية وشاطبة. من أهل قرطبة طلب بها وتفقه عند أبي عمر بن المكوى وكتب بين يديه ولزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الرجال والحديث وهذا الفن كان الغالب عليه، وكان قائماً بعلم القرآن، وسمع من سعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن قاسم البزاز، وأبي محمد بن أسد وخلف بن سهل، وابن عبد المؤمن، وأبي زيد عبد الرحمن بن يحيى وسعيد بن القزاز، وأبي زكريا الأشعري، وأبي عمر الباجي، وأبي القاسم ابن أبي جعفر، وابن الجسور. وأجازه أبو الفتح بن سَيبُخت، وعبد الحميد بن سعيد الحافظ، ولم تكن له رحلة. ورحل إليه الناس وسمعوا منه، وألف تواليف مفيدة طارت في الآفاق (ابن الأبار، ١٩٥٦، ج١، ص ١٩٠).

أما فرج بن أبي الحكم المتوفى ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦، فقد حبس داره على طلبة السنة (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٦١). ومما ورد عن أبي الوليد الباجي (٤٠٣-

٤٧٤ هـ) حيث "زار الحجاز وأقام بها ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى بغداد، وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويسمع الحديث عن أئمتها، وزار الشام ومصر والموصل، وظل بالمشرق ثلاثة عشر عاما يسمع منه، وحاز الرئاسة بالأندلس" (عياض، ١٩٨٨م، ج٤، ص٨٠٣).

وبعض هؤلاء العلماء كانوا موسوعيين، فنجد أحدهم بارعاً في العلوم التطبيقية وله مشاركة جيدة في التفسير أو الحديث، ومن هؤلاء: علي بن سليمان الزهراوي من أعلام مملكة غرناطة المتوفى(٤٣١هـ/١٠٣٩م) فقد كان عالماً كبيراً في التفسير والقراءات والفرائض عارفاً بعلوم الدين، بالإضافة إلى علم الفلك والرياضيات. وكان إماماً وخطيباً لجامع مدينة غرناطة، صنف في التفسير كتاباً كبيراً قيّماً، وله من التصانيف (المعاملات) على طريق البرهان، وفي أواخر عصر ملوك لمع نجم العلامة الكبير محمد بن عبد الله بن العربي الإشبيلي، كانت له مشاركة في الفقه والحديث، وكانت له أيضاً مشاركة جيدة في التفسير، فقد صنف كتاب (أنوار الفجر في تفسير القرآن) وقضى في تأليفه عشرين سنة وبلغت أوراقه ثمانين ألف ورقة (بعيون، http://souhabaayoun.net). ومحمد بن يوسف بن محمد أبو عبد الله

الأموي، كان من أهل الضبط والإتقان، والمعرفة بما يقرى، عن نصيب وافر من العربية وعلم الفرائض والحساب. أقرأ الناس بقرطبة في مسجده بعد سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م، ثم نزح في الفتنة، وسكن الثغر، وأقرأ الناس به دهرا، ثم رد إلى قرطبة، وبها توفى في عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م. وعلي بن عبد الله بن فرج الطليطلي المتوفى ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، أقرأ الناس دهرا، وكان ثقة عارفا بالفن، صالحا واعظا، قدم قرطبة، وتصدر بجامعها للإقراء، فأقرأ الناس نحو شهرين، ثم توفى (عيسى،١٩٨٢م، ص٢٨٧) علي بن عبد الرحمن الشاطبي المقري المتوفى ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م، أقرأ الناس دهرا، وكان ثقة فيما رواه وتوفي بشاطبة (عيسى،١٩٨٢م، ص٢٨٨). علي بن خلف الأشبيلي ثم القرطبي، شيخ القراء بقرطبة، توفي ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، كان من جلة المقرئين وعلمائهم، ثقة شهر بالخير والزهد والتقلل والصلاح

(عيسى،١٩٨٢م، ص٢٩٠). فأبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (٣٨٣-٤٦٢هـ) " قرطبي شيخ المفتين بها في هذه الطبقة، تفقه بأبي عمر بن الفخار، وأبي الأصبغ القرشي، وبالقاضي ابن بشير، صحبه أزيد من اثني عشر عاما" (عياض، ١٩٨٨م، ج٣، ص٨١٠).

ويتبين مما سبق، أنه كان للأندلسيين مشاركة عظيمة في ازدهار علم القراءات، وعلم الحديث، كما كانت لهم مشاركة طيبة في ميدان التفسير، كما بلغت المرأة الأندلسية مكانة في مجال الفقه والتفسير والقراءات.

**المبحث الثاني: العلوم اللغوية**

كانت اللغة العربية الفصحى اللغة القومية في الأندلس، فلم تنافسها أي لغة أخرى لأنها لغة القرآن، حيث أن " أول ما يبدأ به المؤدب في تعليم الصبي، تحذيقه كتابة الأحرف، وقراءتها حتى يألف ذلك، ثم يشرع في تحفيظه السور القصار من القرآن" (عيسى،١٩٨٢م، ص٢٤٣). وأبدع أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٢٣- ١٢٤). وكان مروان بن جراح المرادي من أهل سرقسطة (٥٠١هـ)" أديبا متفننا، أستاذا في العربية" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٦٩٤). ومحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي النحوي من أهل بلنسية (٥٢١هـ)" كان أستاذا في علم اللسان، مقدما في صناعة العربية، والأدب، فصيحا مفوها، ذا سمت حسن، وذكاء معروف، حافظا للغات العرب قائما عليها" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٤٢٦)، ويرد عن محمد بن خلصة النحوي الكفيف قول الحميدي: "كان من النحويين المتصدرين والأساتذة المشهورين، والشعراء المجودين، رأيته بدانية بعد ٤٤٠هـ (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٣٩٥)، أما في بلاط بني عباد، فقد ازدحم فيه الشعراء أكثر من غيرهم، فلقد كان المعتمد نفسه شاعرا، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم

يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس (المراكشي، ١٩٨٣م، ص١٥٨)، ولم يتركه الشعراء حتى في منفاه، فالحصري الشاعر ألف له كتاب "المستحسن من الأشعار" وقدمه له في طنجة (المقري، ١٩٦٨م، ج ٤، ص٣٧٩). كما جلس لإقراء الأدب والنحو في سقيفة الجامع بطليطلة (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ١٣٦). وفي قرطبة (من ٣٥٢ هـ -٤٤١هـ)، عاش الإفليلي أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن زكريا الذي ينتهي نسبه إلى سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، و"كان من أئمة النحو واللغة، له معرفة تامة على معاني الشعر، وشرح ديوان المتنبي شرحا جديدا، وهو مشهور... وكان متصدرا بالأندلس لإقراء الأدب" (ابن خلكان، ١٩٤٨م، ج١، ص ١٠٦-١٠٧).

وفي القرن الخامس الهجري عاش في قرطبة أبو مروان عبد الملك الطبني (٣٩٦-٤٥٧/٦هـ)، وكان إماما في اللغة والأدب والحديث، وأخذ عنه خلق كثير (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص٣٥٩-٣٦٠)، ومنهم ابن حمدون من أهل قرطبة، " كان معلما بالأدب ذا فهم وتصرف فيه، وتوفي ٤٥٠" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٣٩١). وفي طليطلة، تصدى لتدريس علوم اللسان، نحوا ولغة وأدبا، سعيد بن عيسى الرعيني (٣٨١-٤٦٢هـ) (المراكشي، ١٩٦٤م، ص ٣٩)، ومن أهل بطليوس، محمد بن بهلول الكفيف، يذكره ابن عزيز ويقول: "دخل ينيشه، ٤٥٥هـ، فاجتمعنا إليه في الكامل والنوادر-كتابان في اللغة والأدب-، وكان من القائمين عليهما، مع حظ من النحو، وخرج عنا بعد مدة إلى إقليش، فاستأدبه بعض خدمة السلطان لولده" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٣٩٣). وفي دانية زمن مجاهد وموفق العامريين، ظهر ابن سيده اللغوي المتخصص، (توفي ٤٥٨هـ)، وفيه يقول الحجاري، صاحب المسهب: " لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة، ولا أعظم تواليف" (ابن سعيد، ١٩٥٣م، ج٢، ص ٢٥٩).

كان أولئك المعلمون مشهورين بفنهم في بلدهم، وقد تتجاوز شهرتهم نطاق مدينتهم، فأبو مروان عبد الملك (٤٠٠-٤٨٩هـ) "كان إمام الأندلس في وقته في علم

لسان العرب، وضبط لغاتها، وأذكرهم لشوارد أشعارها، وأوثقهم في ذلك وإليه كانت الرحلة من جميع جهات الأندلس" (عياض، ١٩٨٨م، ج٤، ص ٨١٦). لقد كان مروان بن جراح المرادي من أهل سرقسطة (٥٠١هـ)" أديبا متفننا، أستاذا في العربية" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٦٩٤). ومحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن خلصة اللخمي النحوي من أهل بلنسية ( ٥٢١هـ)" كان أستاذا في علم اللسان، مقدما في صناعة العربية، والأدب، فصيحا مفوها، ذا سمت حسن، وذكاء معروف، حافظا للغات العرب قائما عليها" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٤٢٦)، ويرد عن محمد بن خلصة النحوي الكفيف قول الحميدي: " كان من النحويين المتصدرين والأساتذة المشهورين، والشعراء المجودين، رأيته بدانية بعد ٤٤٠هـ، (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٣٩٥).

ويروى عن محمد بن الوليد القيشاطي ( توفي ٤٦٠ هـ ) الأديب أنه: " كان معلم العربية بقرطبة وكان لها ذاكرا مقدما في معرفتها" (ابن بشكوال، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٥٤٢)، وكان أبو بكر بن حزم من أشبيلية "من أهل الأدب والعربية ومعلما بها" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص٢١٩). أما الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا المعروف بالأقليلي من أهل قرطبة المتوفى ٤٤١هـ/ ١٠٤٦م، فقد كان من أئمة النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام عن معاني الشعر، وشرح ديوان المتنبي شرحا جيدا، وهو مشهور. و كان متصدرا بالأندلس، لإقراء الأدب وولي الوزارة للمكتفي بالله (محمد بن عبد الرحمن الذي حكم من ٤١٤-٤١٦هـ/ ١٠٢٤-١٠٢٥م)، وكان حافظا للأشعار، ذاكرا للأخبار، وأيام الناس (ابن خلكان، ١٩٤٨م، ج١، ص٣٣-٣٤).

وصار للتعليم مهمة جديدة هي التكسب والحصول على الرزق، ولقد أصبح وسيلة من وسائل العيش، وطريقا للتقدم والصعود في سلم الحياة الاجتماعية والحصول على مكانة عالية، بل والوصول إلى المراكز الإدارية الرفيعة في الدولة" (خالص، ١٩٦٥م، ص ١٦٨). و أصبح "علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر،

ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل" (المقري، ١٩٦٨م، ج٢، ص ١٠٩). فكان المعتمد بن عباد مثلا " لا يستوزر وزيرا إلا أن يكون أديبا شاعرا حسن الأدوات، فاجتمع له من الوزراء والشعراء، مالم يجتمع لأحد قبله" (عباس، ١٩٨٥م، ص ٨٢).

ومن أشهر أدباء الأندلس، ابن شهيد (٣٨٢هـ - ت٤٢٦هـ) أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك ابن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي، وهو من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج رهط المولود في عام اثنين وثمانين وثلاثمائة للهجرة " (ابن خلكان ، ١٩٤٨م، ج١، ص١١٦، ١١٨)؛ كان شاعراً وكاتباً. من آثاره النثرية (رسالته في الحلواء) ورسالته المسماة (حانوت عطار) و(رسالة التوابع والزوابع) وهي قصة خيالية يحكي فيها رحلته إلى عالم الجن واتصاله بشياطين الشعراء والكتاب، وقد عرض من خلالها آراءه في اللغة والأدب" عاش في كنف النعيم الأميري، وترعرع في ظل الجنان القرطبي، استشعر مظاهر السعادة في الرقي الأندلسي، وتربى في قصور الإمارة فشبَّ على العزة والإباء، وأحس بالعظمة والكبرياء، وهو سليل الحسب والنسب، من نسل أسرة عرفت بالمجد، وتدرجت في سلم الوزارة، فجدُّه كان وزيراً في بلاط الدولة الأموية، ووالده وزيراً عند المنصور بن أبي عامر" في هذا الجو المفعم بالمحبة، والمودة يظلله النعيم وكثرة المال، وتوفر الجاه والسلطة نشأ ابن شهيد الطفل الصغير، فرضع حبّ الترف والبذخ، والتعلق بالمال والحرص على إنفاقه " (خضر،١٩٨٤م، ص٢٠).

ويعتبر الشعر صدى للبيئة اجتماعية كانت أو طبيعية، وإنّ الشعر الأندلسي في هذا النطاق يعتبر صورة أمينة لبيئة الأندلس، فقد تأثر شعراء الأندلس بما حوته بيئتهم من مظاهر في الطبيعة، واتجاهات في السياسة وبما أفصحوا به عن تأملاتِهم

وأفكارهم، وما سيطر من ظواهر على مجتمعهم، وكان تأثرهم بالطبيعة أشد وأقوى، وكان أغلب ملوك الطوائف يقرضون الشعر منهم المقتدر بن هود، والمعتمد، والمعتصم بن صمادح، وأبو الحزم بن جهور (سالم، ١٩٩٨م، ص١٨). و ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي أصله من بني مخزوم من قريش. و لد ابن زيدون في رصافة قرطبة، في بيت علم و جاه و غنى، سنة ٣٩٤هـ فبدأ تلقي العلم على أبيه ، و كان أبوه فقيها مشهورا معروفا بالنباهة و العلم و الأدب، و لما توفي (في البيرة سنة ٤٠٥هـ) كفله جده لأمه القاضي أبو بكر محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي ( ٣٥٥-٤٣٢هـ) فأخذ عن جده هذا أيضا شيئا من العلم، و قد كان من شيوخه: الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان وأبو بكر مسلم بن أحمد القرطبي النحوي و لكن يبدو أن عبقرية ابن زيدون قد صقلت بدراساته الخاصة وبالاختبار في الحياة، و قد ظهر ذلك واضحا في مرثيته لشيخه ابن ذكوان وهو بعد في العشرين من عمره (فروخ، ١٩٧٩م، ص٥٩٠).

وفي الأندلس نجد أن الأسبان المسيحيين المثقفين بمن فيهم رجال الدين المسيحي قد انصرفوا عن اللغة اللاتينية ( لغة الثقافة والدين في أوروبا في القرون الوسطى) وأقبلوا على اللغة العربية وآدابها وبلاغتها وعلومها وعلى الفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية، ولدينا في هذا المجال شاهد معروف هو أسقف مدينة قرطبة (الفارو) الذي عاش في القرن التاسع الميلادي والذي يتحسر على انصراف المسيحيين الأسبان عن اللغة اللاتينية إلى اللغة العربية بقوله ".. يقبل أخواني المسيحيون على أشعار العرب وقصصهم، ويدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المسلمين لا ليفندوها، بل ليكتسبوا المقدرة على التعبير بالعربية بدقة وبلاغة أكبر، وأين تجد اليوم عاميا يقرأ الشروح اللاتينية على الكتاب المقدس، وأين ذلك الذي يدرس الأناجيل وأسفار الأنبياء والرسل؟ إن جميع الشباب المسيحي الذي عرف بمواهبه لا يعرفون إلا لغة العرب وأدبهم، ويقرأون الكتب العربية، ويدرسونها في حمية، ويجمعون منها مكتبات عظيمة بتكاليف باهظة، ويصرحون بعلو أصواتهم في كل مكان بأن الأدب جدير بالإعجاب .. فإذا حدثتهم عن الكتب المسيحية أجابوك ساخرين؛ بأنها أتفه من

أن تستحق اهتمامهم. وبين الألوف منا لا يكاد يوجد واحد يمكنه أن يكتب رسالة لصديق بلاتينية صحيحة، بينما ليس هناك حصر لأولئك القادرين على التعبير عن بنات أفكارهم بالعربية، وقرض الشعر بها بمقدرة فنية تفوق مقدرة العرب أنفسهم!". (جودة، ١٩٨٠م، ص٤١).

ويظهر مما سبق أن العلوم اللغوية ازدهرت في الأندلس، وكان من نتاج ذلك هذا التراث الأدبي واللغوي العظيم. فقد كان الأمراء متعصبون للغة العربية وآدابها، فعملوا على نشرها وخدمتها، وكان بعضهم من الشعراء النابغين والخطباء البارعين.

**المبحث الثالث: علوم أخرى**

**١- الدراسات الطبية**

نال الأندلسيون تقدماً ملحوظاً في علم الطب، وأسدوا للإنسانية كثيراً من الجهود الموفقة والإنجازات العلمية القيّمة التي دفعت الطب نحو الأمام، ولا شك أنّ هذا العلم يأتي عند الأندلسيين في مقدمة العلوم التطبيقية من حيث الاهتمام والعناية، ووفرة الإنتاج العلمي، ومن الأندلس انتقل هذا العلم حيث ترجمت أكثر هذه الكتب إلى اللاتينية، وقد ذاعت شهرة الأطباء الأندلسيون، حتى وفد بعض ملوك الأسبان إلى أطباء الأندلس لعلاج ما استعصى من أمراضهم واعتبر الأندلسيون على لسان ابن عبد البر القرطبي المتوفى ٤٦٢هـ أن علم الأبدان، العلم الثاني الأوسط بعد علم الأديان، ويضع ما يشبه المنهاج في الدراسة الطبية حيث يقول " وأما الطب فلفهم طبائع نبات الأرض، وشجرها ومياهها، ومعادنها وجواهرها وطعومها وروائحها، ومعرفة العناصر والأركان، وخواص الحيوان، وطبائع الأبدان والغرائز، والأعضاء والآفات العارضة، وطبائع الأزمان والبلدان، ومنافع الحركة والسكون، وضروب المداواة، والرفق والسياسة" (ابن عبد البر، ١٤٢٢هـ، ص٢٩٠).

و برز في الأندلس الكثير من الأطباء، وكان في مقدمتهم بنو زهر. وزهر أسرة أندلسية علمية جليلة، شريفة عريقة ذات مجد وشهرة عظيمة في العلوم الطبية،

وبنوها متبحرون بشتى العلوم كالفقه والأدب واللغة والحديث وخصوصاً العلوم الطبية سواء كانوا نساء أو رجالاً، كنى أفرادها جميعاً بابن زهر، واشتهر رجالها ونساؤها بصناعة الطب في الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والثالث عشر الميلادي. وأنجبت هذه الأسرة عدداً من مشاهير الأطباء خلال ستة أجيال متتابعة، توارثت العلم ابناً عن أب، وقد استوطنت إشبيلية القاعدة الأندلسية الشهيرة مقر ملك بني عباد وكان هذا الانتقال من دانية إلى إشبيلية على يد الشيخ الطبيب أبي العلاء زهر، وكانت هذه الأسرة من أعيان إشبيلية نجوماً في سماء الطب والعلاجات بالأندلس، وأول طبيب في هذه الأسرة أبو مروان عبد الملك بن محمد. وجدير بالذكر أن نشير إلى أنّ أبا مروان تولى رئاسة الطب في بغداد ثم بمصر ثم بالقيروان وهو ما أشار إليه صاعد صاحب (كتاب طبقات الأمم)، وإذا صح هذا فإنّ فيه دلالة واضحة وعميقة على مدى ما بلغه الأندلسيون من تفوق وأحرزوه من سبق في هذا العلم، واعتراف المشارقة بذلك. "أن أبا مروان بن زهر رحل إلى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمنًا طويلاً" (التغلبي، ١٩٦٧م، ص١٩٧)، ثم رجع إلى الأندلس وقصد مدينة دانية، وكان ملكها في ذلك الوقت مجاهد العامري، فلما وصل أبو مروان بن زهر إليه أكرمه إكرامًا كبيرًا، وأمره أن يقيم عنده ففعل وحظي في أيامه بمكانة جليلة، واشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب، وطار ذكره منها في أقطار الأندلس، وله في الطب كما يذكر مترجموه آراء شاذة في الطب خالف فيها الحكماء كما ذهب إلى ذلك صاعد الأندلسي، وانتقل أبو مروان بن زهر من دانية إلى مدينة إشبيلية، ولم يزل بها إلى أن توفي وخلف أموالا جزيلة، وكان غني إشبيلية ومطمح أنظارها في الرباع والضياع، وبإشبيلية ولد له ابنه أبو العلاء (ابن الأبار، ١٩٥٥ م، ص٣٣٤-٣٣٥).

اشتغل أبو العلاء بن زهر بالطب وهو صغير السن في أيام المعتضد بالله صاحب إشبيلية وبعد زوال ملكهم أصبح وزيرا لإبراهيم بن يوسف بن تاشفين المرابطي، وقد قربه المرابطون وأغدقوا عليه من النعم والأموال الشيء الكثير، وأكد هذا ابن الأبار في التكملة فقال: "وحل من السلطان محلا لم يكن لأحد في الأندلس في وقته، أحل

من نفسه محلا لم يحلهُ الماء من الظمآن"(المراكشي،١٩٨٠م، ص٨٥) ترك تراثا كبيرا في الطب والأدب ومن كتبه في الطب كتاب (مجربات الخواص) أهداه للأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين المرابطي وكتاب (الأدوية المفردة)، وكتاب (الإيضاح في الرد على علي بن رضوان)، وكتاب (التذكرة)، ألفها لابنه عبد الملك فيما رد على حنين بن إسحاق (زيتون، ٢٠٠٢م، ص٢٨) في كتاب (المدخل إلى الطب)، وكتاب (النكت الطبية) ومقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في تركيب الأدوية، ومقالة في الرد على أبي علي بن سينا في مواضع من كتابه (الأدوية المفردة)، وبعد موته أمر أمير المسلمين على بن يوسف بجمع كتبه ونسخها وكانت وفاة أبي العلاء بن زهر سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م).

"إن الطبيب ممن تنافس الشعراء على بابه لمدحه بما يستحق ومنهم محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلصة اللخمي البلنسي (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) مدرس العربية الكبير بجامع بلنسية، ثم بدانية وألمرية. ومما قيل في أبي العلاء بن زهر سنة ٥٢٠هـ:

| | |
|---|---|
| غَدت عنك أمواهُ العُيوم الدوافق | تَفيض بما تُرى زنادُ البوارق |
| أنارت جهاتُ الشرق لما أحتللته | فكاد الدُّجى يجلو لنا وجهَ شارق |
| وكم زَفرت شوقًا بلنسيةُ المنـــى | إليـــك ولكنْ رُبَّ حسناء طالق |
| تقلَّد منك الدهرُ عِقـْدًا وصارمًا | بــــهاءً لجيـــدٍ أو سنـــاءً لعاتق |
| ولو قُسِمت أخلاقك الغُرُّ في الدنيا | لما صَوَّحت خُضر الرُبا والحدائق |

(ابن الأبار،١٩٨٩م، ص٥٤).

وإلى (حران) أيضا رحل عمر بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني القرطبي الأندلسي "وعني هنالك بطلب الهندسة والطب، ثم رجع إلى الأندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها ... وله عناية بالطب وتجارب فاضلة فيه،

ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبط، وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية، وتوفي بسرقسطة سنة ٤٥٨هـ" (العكش، ١٤٠٦هـ، ص٢٠٤).

قدّم المسلمون والعرب للحضارة العالمية إسهامات عديدة في مختلف جوانب العلوم الطبية، ومن مملكة طليطلة ظهر الطبيب والصيدلي المشهور الوزير ابن وافد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير الطليطلي، والطبيب ابن وافد الوزير أبو المطرف اللخمي الأندلسي من كبار العالمين بالطب لا سيما بالأدوية المفردة فإنه لم يدرك شأوه فيها أحد، وألف كتابا حافلا جمع فيه بين قول ديسقوريدوس وقول جالينوس، وله يد طولى في المعالجة وسكن طليطلة، وكان له في دولة ابن ذي النون ذكر، وكان حيا في سنة ستين وأربعمائة، وذكر أنه ولد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وهو مشهور بابن وافد بالفاء وله أيضا كتاب (الوساد في الطب) وكتاب( تدقيق النظر في علل حاسة البصر) وكتاب (مجربات الطب)، توفي في رمضان سنة سبع وستين (ابن أبي أصيبعة، ١٩٦٥م، ص٢٨) وكان لعلم الطب منزلته السامية في المجتمع الأندلسي فنجد صدى ذلك في شعر السميسر خلف بن فرج الذي قال:

| | |
|---|---|
| كل علم ما خلا الشرع | وعلم الطب باطل |
| غير أنّ الأول الطب | على رأي الأوائل |
| هل تمام الشرع إلاّ أن | يكون الجسم عامل |
| فإذا كان عليلاً | بطلت تلك العوامل |

(بعيون، http://souhabaayoun.net).

ومن بين كتب الطب التي دخلت الأندلس كتاب (زاد المسافر) لمؤلفه الطبيب القدير أبو جعفر بن الجزار القيرواني، وقد أدخله الأندلس الطبيب عمر بن بريق، وكان لهذا الكتاب تأثير واسع، واعتمد عليه الطبيب الجراح خلف بن عباس الزهراوي. لقد نال الأندلسيون تقدماً ملحوظاً في علم في الطب، وكانت مهنة الطب تمارس إلى جانب العلوم الأخرى أحياناً. لذا نجد أسماء اشتهرت في الفلسفة والأدب لكنهم كانوا يحسبون أطباء أيضاً. وقد ذاعت شهرة هؤلاء الأطباء وغيرهم، حتى وفد

بعض ملوك الأسبان إلى أطباء الأندلس لعلاج ما استعصى من أمراضهم (بعيون، http://souhabaayoun.net) ومن مملكة بني هود بسرقسطة نبغ الطبيب عمرو بن عبد الرحمن الكرماني، من أهل قرطبة، ولد سنة (٣٦٨ ـ ٤٥٨هـ/٩٧٨ـ ١٠٦٦م). وكان هذا العلامة موسوعياً، فهو جرّاح، عالم بالطب وفيلسوف ورياضي ومهندس، ولكنه اشتهر أكثر بمعرفته الواسعة بالهندسة والطب خاصة، فقد أبدى مهارة فائقة في ميدان الجراحة الطبية. وهو أول من حمل رسائل (إخوان الصفا) إلى الأندلس، أتى بها من المشرق، ولم تكن قبله معروفة هنالك. وكان متميّزاً في صناعة الطب، ولا سيما الكيّ والقطع والشق والبط، وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية. (بعيون، http://souhabaayoun.net) ومن الحق أن نقول أنّه برز في الأندلس أعداد كبيرة من الأطباء بذلوا جهوداً مثمرة في ميدانه.

**٢- علم الفلك والنجوم:**

وفي الأندلس عرف الناس علم الفلك والنجوم، وأنشئت المراصد من أجل تلك الغاية، وألفت الكتب، واخترعت الآلات، رغم أنه عاش فيها أيضا أولئك الذين كانوا يكسبون رزقهم مما يتنبأون به عن حظوظ الناس في الدنيا وعن مستقبل أيامهم . ومن هؤلاء من مال أكثر، إلى دراسة علم الأفلاك وهيئاتها، وحركات الكواكب وأرصادها، مثل محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن البرغوث المتوفى عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢ (التغلبي، ١٩٦٧م، ص٩٥). وفي علم الفلك يحسن أن نشير إلى العالم الكبير إبراهيم ابن حبيب أبو إسحاق، المعروف بولد الزرقيال الأندلسي ( ت ٤٩٣هـ -١١٠٠م)، يقول عنه القفطي، أبصر أهل زمانه بأرصاد الكواكب، وهيأة الأفلاك واستنباط الآلات النجومية، وله صفيحة "الزقيال" المشهورة في أيدي أهل هذا النوع التي جمعت من علم الحركات الفلكية كل بديع مع اختصارها، ولما وردت على علماء هذا الشأن بأرض المشرق حاروا فيها وعجزوا عن فهمها إلا بعد التوفيق (القفطي، ١٣٢٦هـ ، ص٧٥)، ويقول عنه صاعد الطبقي:

أنه أبصر أهل زماننا بأرصاد الكواكب، وهيئة الأفلاك، وحساب حركاتها (التغلبي، ١٩٦٧م، ص١٠٠).

وسمى ابن خلدون علم الفلك والنجوم بـ"علم الهيئة" "وهو علم ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة والمتجددة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية، كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الإقبال والإدبار، وكما يقول بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الأعظم.." (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ص ٩٠٥)، ثم يقول:" وهذه الهيئة صناعة شريفة، وليست على ما يفهم من المشهور، أنها تعطي صورة السماوات وترتيب الأفلاك والكواكب، بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات" (ابن خلدون، ١٩٨٤م، ص٩٠٥).

وأصبغ بن محمد بن أصبغ بن السمح المهري (توفي ٤٢٦هـ)، من أهل قرطبة "وكان من أهل المعرفة الكاملة بالعدد والهندسة والمهارة في صناعة الطب والنجامة" (ابن الأبار، ١٩٥٦م، ج١، ص ٢٠٧)، وأبو عثمان سعيد بن محمد من طليطلة (توفي ٤٤٠هـ عن ٧٥سنة)، رحل إلى إل قرطبة، وأخذ عن مسلمة العدد والهندسة كما أخذ الطب عن سليمان بن جلجل (المراكشي، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٤٣). وفي قرطبة أيضا، أخذ عن مسلمة عامر بن الصفار محمد بن إبراهيم الأمين وسواه، وفيها أيضا ذكر أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر حيث قعد لتعليم العدد والهندسة والنجوم، ومنها انتقل إلى دانية بعد الفتنة، وفي قرطبة أنجب تلاميذ جمة (التغلبي، ١٩٦٧م، ص٩١) وكان أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن من أهل قرطبة أحد الراسخين في علم العدد والهندسة، ومن تلاميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن حي المهندس المنجم، الذي يشهد بأنه ما لقي مثله في علم الهندسة، ثم استوطن هذا العالم سرقسطة، بعد رحلة إلى المشرق، وتوفي فيها سنة ٤٥٨هـ، بعد أن عاش تسعين سنة (التغلبي، ١٩٦٧م، ص ٩٢).

### ٣- علم التاريخ

نال علم التاريخ من الأندلسيين كل عناية واهتمام وأصبحت الدراسات التاريخية ثمرة ناضجة، وموضع الدرس والإقبال من الطلاب في مختلف جوانبه، بدءً بأيام العرب القديمة، وظلت تُروى شفاهاً بالطريقة التقليدية، أو المدونات التي تُسجل الأحداث شهراً فشهراً، وعاماً فعاما، وتترجم للأعلام في السياسة والدين والأدب، أو تختص بتدوين الأحداث التي وقعت في بلد ما، أو لشعب ما أو لجنس ما، وانتهاء بتلك التي تبلغ قمة الرُقي، فتهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية، بل وفلسفة التاريخ.

وتمثل التيار الإبداعي في الفكر التاريخي في عدد من المؤرخين الذين خرجوا من رحم المذهب السني نفسه، وهم أتباعًا للمدرسة الحزمية التي جمعت بين العقل والنقل، بين الرواية والدراية ونظرا لاضطهاد أعلام هذه المدرسة، لم يقر لإبداعاتهم الرواج (إسماعيل، ٢٠٠٨ م ، ص ٧٢).

وفي البداية لم يبتدع الأندلسيون طرقا جديدة في تأريخ تاريخ بلادهم، وإنما اكتفوا بتقليد المشارقة في ذلك، والسير على مناهجهم التي استمدها الأندلسيون من الكتب التاريخية التي وصلتهم من خلال رحلتهم للمشرق، واطلاعهم عليها، فالحوليات المشرقية قلدها الأندلسيون في التأريخ لبلادهم وعلى طرازها، وكذلك كتب التراجم من حيث اتباعهم نهج الطبقات أو ترتيبها على حروف المعجم، وكان لشيوع ظاهرة احتكار أهل الحديث للكتابات التاريخية في العالم الإسلامي برمته؛ فانسحبت بالضرورة على مؤرخي الأندلس، مما يؤكد وحدة الظواهر الثقافية. أما من كانوا غير محدثين من مؤرخي الأندلس، كابن القوطية على سبيل المثال، فقد غلفت كتاباتهم نزعة دينية واضحة، حتى لقد حكم أحد الدارسين الثقاة بأن الكتابة التاريخية في الأندلس " بدأت في ظل أشبه أن يكون وصاية للفقهاء والمحدثين والقصاص المشارقة " (إسماعيل، ٢٠٠٨م، ص٤٠) وتتسم كتابات مؤرخي الأندلس عموما

باستهلالها بمباحث جغرافية، حتى صار ذلك قاعدة تحتذى، حيث يتعرضون " لممالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة " (إسماعيل، ٢٠٠٨م، ص٤٣).

ونستنتج مما سبق أن علماء الأندلس لم يقتصروا على العلوم الدينية واللغوية فحسب، بل كان لهم دراسات في العلوم العقلية من طب وفلك وهندسة وغير ذلك من العلوم التي أبدعوا فيها وصنفوا المصنفات العلمية المشهورة التي تشهد لهم ويشهد لهم بها الشرق والغرب في عصرنا الحاضر فقد كانوا بحق علماء موسوعيون متبحرين في أكثر من علم.

# خاتمة الدراسة

# خاتمة الدراسة

## أولا: النتائج

مما سبق توصل الباحث إلى جملة من النتائج يجملها فيما يلي :

١- شهد القرن الخامس الهجري في الأندلس قفزات علمية عظيمة في مجال الازدهار الثقافي والعلمي، حيث برز في كل مجال علماء أفذاذ ساهموا في دعم هذا التطور من خلال ما أبدعوه من مؤلفات، وكان شعب الأندلس شعباً يقبل على العلم للعلم ذاته، ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم.

٢- أثبت العلماء أنهم دائما في المقدمة في الميادين كافة، وأنهم حصون الأمة وقادتها، وقدوة المسلمين ورموزهم؛ لأن العلم إيمان وعمل، وصدارة العلم لها ومسؤولياتها وتكاليفها. فقد قام العلماء والفقهاء بدورهم الديني والوطني على أكمل وجه، فقد أبدوا معارضة للأوضاع السياسية السيئة التي كانت سائدة في عصر ملوك الطوائف، وفي الوقت نفسه بذلوا جهدهم لإقناع أولئك الملوك بضرورة الاستنجاد بالمرابطين، فكانت مواقف كبار العلماء تتسم بالوطنية النابعة من الوعي والفهم الديني الذي يملي عليهم تلك المواقف.

٣- زخرت الأندلس بنهضة علمية نافست فيها المشرق الإسلامي منافسة قوية في العلوم والآداب، وبدأت الشخصية الأندلسية، تبرز وتتجلى، وتتحدى الأعلام، وتكاد تزحمهم في ميادين العلوم والآداب.

٤- بينت الدراسة أن للعلماء المسلمين في الأندلس منهجا تربويا وأساليب تربوية صالحة لكل زمان ومكان.

٥- قامت المؤسسات التعليمية في الأندلس من مساجد، وقصور الأمراء، ومنازل العلماء، وكتاتيب بدورها التعليمي والتربوي، ووجدت الدعم الكبير من الملوك والأمراء في القرن الخامس الهجري.

٦- تنوعت أساليب التعليم فشملت الإسماع، والإملاء، والإقراء، والمناقشة والحوار، والمناظرة، فكانوا يختارون من الطرق أفضلها وأحسنها، وأوضحها بياناً، وأشدها تأثيراً في نفوس المتعلمين، فاستخدموا لكل موقف الطريقة المناسبة له.

٧- شملت مناهج التعليم في الأندلس في القرن الخامس الهجري العلوم الدينية، والعلوم اللغوية، والعلوم العقلية.

٨- احتلت العلوم الدينية مكانة كبيرة عند أهل الأندلس، وذلك بفضل الفقهاء الذين كانوا يشجعونها ويرغّبون الناس في الإقبال عليها والنهل منها.

## ثانيا: التوصيات

يوصي الباحث في هذا الشأن بما يلي:

١- الاهتمام بالتعليم في مؤسسات المجتمع كالمسجد والأسرة، وغيرها من المؤسسات التربوية التي تتولى توجيه أفراد المجتمع وتثقيفهم.

٢- إجراء دراسات ميدانية تقويمية للأساليب المستخدمة في التعليم في واقعنا المعاصر.

٣- إقامة دورات تعليمية لأساليب التعليم التي تميز بها العلماء في الأندلس وبالأخص المناقشة والحوار والمناظرة؛ لتطوير أساليب التعليم في واقعنا التربوي المعاصر.

٤- الإفادة من المناهج التعليمية عند علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، وأصولهم التعليمية، فنبوغهم في العلوم التطبيقية كان بجانب العلوم الدينية.

٥- الاهتمام بالتراث التربوي الإسلامي عند علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، ودراسة أعلامه الذين أثروا في هذا المجال.

٦- القيام بدراسات تربوية عن الإنتاج العلمي الغزير في الأندلس في القرن الخامس الهجري في ظل الظروف السياسية في عصر الطوائف، والاستفادة منها في واقعنا المعاصر والأحوال السياسية المتشابهة، فالبحث في التاريخ التربوي الإسلامي وعلمائه يمدنا بتجارب تربوية ثرية.

# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع

**أولا: المصادر**


١) القرآن الكريم.

٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

٣) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٤) السجستاني، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، ج٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٥) الشيباني، أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ت.

٦) البربهاري، الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، **شرح السنة**، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ.

٧) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، ج١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٨) الزبيدي ،أبو الفيض محمد مرتضى الحسني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢،ج٣، الكويت ، دار التراث العربي ، ومطبعة حكومة الكويت ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٩) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، د. ت.

**ثانيا: المراجع**


١٠) الأبراشي، محمد عطية، **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، ب. ت.

١١) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم، **عيون الأنباه في طبقات الأطباء**، مطبعة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

١٢) ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **اعتاب الكتاب**، تحقيق: صالح الاشتر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٦١ م.

١٣) ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **التكملة لكتاب الصلة**، الطبعة الأولى، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري اللبناني، ١٩٨٩ م.

١٤) ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **التكملة لكتاب الصلة**، جزءان، تحقيق السيد عزت العطار، مطبعة دار السعادة بمصر، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٥) ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٥) ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٦) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

١٧) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية**، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٦م.

١٨) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

١٩) ابن الدلائي، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار**، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥م.

٢٠) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك، **تاريخ الأندلس**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،١٩٧١م.

٢١) ابن بسام، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٢) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٣) ابن بلقين، عبد الله، **كتاب التبيان**، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٤) ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**. تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

٢٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، **مقدمة ابن خلدون**، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٦) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج١، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٧) ابن سعيد، علي بن موسى، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.

٢٨) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق، أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الخامسة، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٢هـ.

٢٩) أبو زهرة، محمد، **ابن حزم حياته وفقهه، عصره ـ آراؤه**، دار الفكر العربي، د.ت.

٣٠) أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم، **كتابة البحث العلمي صياغة جديدة**، دار شروق، جدة، ١٤١٦ هـ.

٣١) الآجري ، محمد بن الحسين بن عبد الله، **أخلاق العلماء** ، تحقيق: أمينة عمر الخراط، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

٣٢) إسماعيل، محمود، **الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي**، الطبعة الأولى، منشورات الزمن، المغرب، ٢٠٠٨ م.

٣٣) آل ياسين، محمد حسين، **مبادئ في طرق التدريس العامة**، الطبعة الرابعة، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٣٤) أمين، أحمد، **ظهر الإسلام**، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٦٦م.

٣٥) الأهواني، أحمد فؤاد، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، مصر، د. ت.

٣٦) بالينثيا، أنخل، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م.

٣٧) البتوني، محمد لبيب، **رحلة الأندلس**، مطبعة الكشكول، مصر، ١٩٢٧م.

٣٨) بدر، أحمد، **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها**، أطلس للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٧٢ م.

٣٩) بروفنسال، إ. ليفي، **ثلاث رسائل أندلسيّة في أداب الحسبة والمحتسب**، القاهرة، ١٩٥٥م.

٤٠) بعيون، سهى، **موقع الدكتورة سهى بعيون للدراسات الأندلسية**. http://souhabaayoun.net

٤١) البغدادي، الخطيب أحمد بن علي بن ثابت، **اقتضاء العلم العمل**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ج١، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٤٢) البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق: الحجي، بيروت، ١٩٦٨م.

٤٣) بلغيث، محمد الأمين، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤ م.

٤٤) بن بية، محمد محمود عبد الله، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٥) بن عبود، محمد، **التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف**، تطوان، ١٩٨٣ م.

٤٦) بوتشيش، إبراهيم القادري، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٧) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤٨) التغلبي، صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، **طبقات الأمم**، النجف، ١٩٦٧م.

٤٩) الجرجاني ،علي بن محمد بن علي : **التعريفات** ، ج١،ط١، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

٥٠) الجمالي، محمد فاضل، **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي** ، الطبعة الأولى ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م.

٥١) جودة، محمد غريب، **عباقرة علماء الحضارة العربية والإسلامية**، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٢) الحازمي، خالد حامد، **أصول التربية الإسلامية** ، الطبعة الأولى، دار عالم الكتب، السعودية، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٣) الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دمشق- بيروت، ١٩٧٦م.

٥٤) حسن، عبد العال، **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

٥٥) الحميدي، **جذوة المقتبس**، تحقيق: محمد بن تاويت، القاهرة، د.ت.

٥٦) الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق وتعليق وتخريج: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي، ج١، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٧) خالص، صلاح، **إشبيلية في القرن الخامس الهجري**، دار الثقافة، ١٩٦٥م.

٥٨) خضر، حازم عبد الله، **ابن شهيد الأندلسي حياته وأدبه**، منشورات وزارت الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، ١٩٨٤هـ.

٥٩) الدوميلي، **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي**، ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة، ١٩٦٢م.

٦٠) الديوه جي، سعيد، **التربية والتعليم في الإسلام**، الموصل، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٦١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦٢) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، الطبعة الحادية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٦٣) الرافعي، مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، ج٣، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة،١٩٤٠م.

٦٤) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، تحقيق: محمد عجاج الخطيب ، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت،١٤١٤هـ .

٦٥) رزق الله، مهدي أحمد، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦٦) رضوان،أبو الفتوح، **المدرس في المدرسة والمجتمع**، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،١٩٧٣م .

٦٧) الزركلي، خير الدين، **الإعلام**، الطبعة الثانية، مطبعة كونستاتسوماس وشركاه، ١٩٥٧م.

٦٨) زكار، سهيل، وعبد القادر زمامه، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشي**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٧٩ م.

٦٩) زكريا، هاشم، **فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم**، دار النهضة، مصر، د.ت.

٧٠) الزهراني، علي بن إبراهيم، **مهارات التدريس في الحلقات القرآنية**، الطبعة الثانية، مكتبة الدار، المدينة المنورة،١٤٢٠هـ.

٧١) زيتون، عايش، **طبيعة العلم وبنيته وتطبيقاته في التربية العلمية** ، الطبعة الثالثة، دار عمّار للنشر والتوزيع ، عمّان ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٧٢) سالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.

٧٣) سالم، السيد عبدالعزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٨م.

٧٤) سرحان، منير المرسي، **في اجتماعيات التربية**، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٧٥) سعد الدين، محمد منير سعد الدين، **العلماء عند المسلمين مكانتهم ودورهم في المجتمع** ، الطبعة الأولى، دار المناهل ، بيروت ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٧٦) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٧٧) السمعاني، عبد الكريم بن محمد، **أدب الإملاء والإستملاء** ، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن محمود، الطبعة الأولى، مطبعة المحمودية ، جدة، ١٤١٤هـ .

٧٨) السويدان، طارق محمد، **الأندلس التاريخ المصور**، الطبعة الأولى، شركة الإبداع الفكري، الكويت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧٩) سيديو ل. م.، **تاريخ العرب العام**، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨م.

٨٠) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق رحاب خضر عكاوي ، الطبعة الأولى، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٨١) شبارو، عصام محمد، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية ، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨٢) الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن، **علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٨٣) الشكعة، مصطفى، **الأدب الأندلسي** ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٣م.

٨٤) شلبي، أحمد، **التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها**، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.

٨٥) الصّيرفي، حسن كامل، **طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي**، القاهرة، ١٩٥٠م.

٨٦) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق كوديرا، مجريط،١٩٦٧م.

٨٧) طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨٨) العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

٨٩) عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، الطبعة السابعة، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٠) عبد الحليم، رجب محمد، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، القاهرة، د. ت.

٩١) عبد الدائم، عبد الله، **التربية عبر التاريخ**، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥م.

٩٢) عبد العال، حسن، **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٧٨م.

٩٣) عبد العزيز، صالح، وعبد العزيز عبد المجيد، **التربية وطرق التدريس**، دار المعارف، مصر، د. ت.

٩٤) عبد اللطيف، عصمت، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقية**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، دمشق، ١٩٨٨م.

٩٥) عبيدات، ذوقان وآخرون، **البحث العلمي مفهومه وأدواته أساليبه**، دار إشراقات، عمان، ١٤٢٢ هـ.

٩٦) عجيل، كريم، **الحياة العلمية في بلنسية**، بغداد، ١٩٧٥م.

٩٧) العكش، إبراهيم علي، **التربية والتعليم في الأندلس**، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٦ هـ.

٩٨) علوان، عبد الله ناصح، **تربية الأولاد في الإسلام**، الطبعة التاسعة، دار السلام، القاهرة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

٩٩) العلواني ، رقية طه جابر، **فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية** ، الطبعة الأولى، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٠٠) علي، محمد كرد، **غابر الأندلس وحاضرها**، المطبعة الرحمانية، الطبعة الثالثة، مصر، ١٩٥٠م.

١٠١) عليان، أحمد فؤاد، **طرق التعليم التربوية في السنة النبوية**، الطبعة الأولى، دار المسلم، الرياض،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠٢)عنان، محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس " دول الطوائف**"، الطبعة الثانية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٠م.

١٠٣)عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق: أحمد صقر، الطبعة الأولى، دار التراث، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

١٠٤)عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠٥)عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب الممالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٠٦)عيسى، محمد عبد الحميد، **تاريخ التعليم في الأندلس**، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٨٢ م.

١٠٧) الغلبزوري، توفيق بن أحمد، **المدرسة المادية في الأندلس**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٦٣، الكويت، ٢٠٠٥م.

١٠٨) فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠٩) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية ، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

١١٠) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، مطبعة السادة، مصر، ١٣٢٦هـ.

١١١) لوبون غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة البابي

الحلبي، ١٩٦٩م.

١١٢) محمد، علي مختار، **دور المسجد في الإسلام**، رابطة العالم الإسلامي، مطبوعات دعوة الحق، العدد ١٤، ١٤٠٢هـ.

١١٣) محمود، حمدي شاكر، **البحث التربوي للمعلمين الباحثين**، دار الأندلس، حائل، ١٤٢٠هـ.

١١٤) المراكشي، ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق:كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

١١٥) مطلق، ألبير، **الحركة اللغوية في الأندلس**، ١٩٦٧م.

١١٦)المقري، أحمد بن محمد التلمساني؛ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٩٥م.

١١٧) المقري، أحمد محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١١٨) مكي، محمود علي، **المقتبس لابن حيان**، تحقيق: محمود على مكي، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م.

١١٩) ناصر، إبراهيم، **مقدمة في التربية**، الطبعة السابعة، دار عمار، عمان، ١٩٩٦م.

١٢٠) نجيب، عبدالرحمن حكمت، **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٧٧م.

١٢١) النحلاوي، عبد الرحمن، **يوسف بن عبد البر القرطبي**، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٢٢) الهنيدي، جمال محمد، **الإعداد التربوي للفقيه عند المسلمين**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.